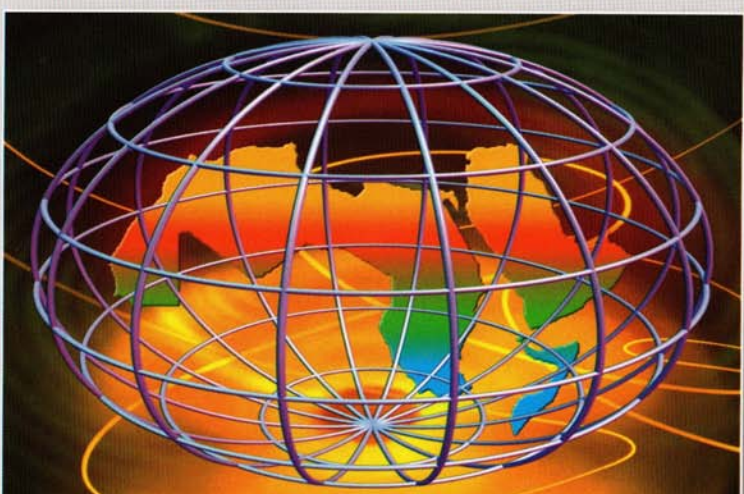
علي بن إبراهيم النملة

هاجس المؤامرة في الفكر العربي

بين التهوين والتهويل



الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

هاجس المؤامرة في الفكر العربي

بين التهوين والتهويل

إعداد

علي بن إبراهيم النملة

أستاذ المكتبات والمعلومات

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

هاجس المؤامرة في الفكر العربي

بين التهوين والتهويل

ح علي بن إبراهيم النملة ؛ ١٤٣٠ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النملة ، علي بن إبراهيم

هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل./ علي بن إبراهيم النملة. ـ الرياض، ١٤٣٠هـ.

٢٢٨ ص ، ١٤ X ٢١ سم

ردمك: ٣ ـ ٢٣٤٩ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ الفكر العربي ٢ ـ العالم العربي ـ الأحوال السياسية

أ. العنوان

ديوي ٣٠١,٢٩٥٦ ١٤٣٠/٢٣٤٨

رقم الإيداع: ٢٣٤٨/ ١٤٣٠

ردمك: ٣ ـ ٢٣٤٩ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا يجوز أنْ يضيعَ صوتُ الحقِّ والعدل بين لغط الجافي والغالي، وإذا فُسِّر موقفُ الغالي بأنَّه ردُّ فعلٍ للجافي، وأنَّ موقفَ الجافي هو ردُّ فعلٍ للغالي فإنَّ موقفَ العقل المسترشد بنور الشريعة لا يُجاوز موقفَ الإنصاف والعدل، حيث يكونُ التجرُّد عن الأهواء، وحيث يكونُ التعالي عن المؤثِّرات الخارجيَّة. ذاك نهجُه في كلِّ قضيَّة، فهو لا يعرفُ الحقَّ بالرجال، ولا يكتمُ الحقَّ إغاظةً للأعداء».[1]

سامي الماجد

---

(١) انظر: سامي بن عبدالعزيز الماجد، الوسط و «اللغط» في الاختلاط.ـ الحياة.ـ ع ١٦٥٢٠ (الجمعة ٢٧/٦/٢٠٠٨م ـ ٢٣/٦/١٤٢٩هـ).ـ ص ٧.

المحتويات

المدخل:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله محمَّد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد؛

فهذه وقفات حول موضوع يشغل الساحة الفكرية العالمية والإسلامية والعربية والمحلِّية. ويتمحور حول الاعتقاد بأنَّ هناك قوىً خفيةً تدبِّر وتخطِّط للإضرار بالبشرية، من منطلق عرقي أو ديني أو جنسي أو سياسي أو اقتصادي. وتقودها في هذا التدبير حالات من الرغبة في الانتقام أو فرض السيطرة والهيمنة أو تغليب المصالح القريبة والمحدودة.

ظهرت لهذا الموضوع التنظيرات المختلفة، فوصل الأمر إلى حدٍّ المبالغة في وجود هذه القوى، وأنَّ الكون أضحى أسيراً لتدبيراتها وخططها، وأنَّ ما يحُلُّ بالعالم من شرور إنَّما هو من تدبير فِرَق تعمل في الخفاء، وتلقى الدعم من تنظيمات لها طابع السرِّية وتُظهر خلاف ما تُبطن، بل ربَّما توارت وراء الغطاء الخيري النافع لتضليل العامة ودفعهم لقبول أفكارها وتوجُّهاتها، مما أدَّى في المقابل إلى وجود ردِّ فعل معاكس ينفي قطعًا وجود مثل هذه القوى، ويعيد هذا الشعور

في وجودها إلى مركَّبات النقص والشعور بالعجز عن مواجهة المشكلات التي تطرأ على الأمم والشعوب والمجتمعات، والبحث عن مؤثِّر خارجي ذي قوىً يُظَنُّ أنَّها خارقة تقف الشعوب إزاءها مكتوفة الأيدي.

تأتي هذه الوقفات على هيئة مناقشات لطرفين متناقضين في موقفهما من مفهوم المؤامرة؛ أحدهما يثبتها إلى درجة التهويل من تأثيرها على الأمم، فهي عندهم حقيقة واقعة، والآخر ينفيها نفيًا مطلقًا ويسعى إلى تسويغ ما يظهر من أحداث تتناسب مع هذا المفهوم على أنَّه بفعل الناس أنفسهم ومن داخلهم، فهي عندهم وهمٌ مصطنع يوحي بحالة مَرَضية مزمنة تصل إلى الهوس. كما تسعى هذه الوقفات إلى البحث عن المنهج الوسط بين موقفين متطرِّفين، فيُثبت هذا المنهج وجود المفهوم، لكنه لا يرمي عليه كلَّ التدابير، ولا يغفل القدرات الذاتية في الإسهام في وجود المشكلات والإسهام كذلك في التغلُّب عليها بفطنة وكياسة وتثبُّت.

إنه باستعراض المواد التي نشرت في الإنترنت، والتي بلغت باللغة العربية فقط أكثر من أربع مئة واثنين وثلاثين ألف (٤٣٢,٠٠٠) مادَّة، وزادت المواد باللغة الإنجليزية عن مليونين

ومئة ألف (٢,١٠٠,٠٠٠) مادَّة (١٥/ ٢/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٢/ ٢/ ٢٠٠٩م)، تبيَّن أنَّ الموضوعيَّ ذا الطرح الهادئ منها قليل، ولم تخلُ بعض هذه المواد من شتم أحد الطرفين (المهوِّل والمهوِّن، أو المثبت والنافي، أو المُحقِّ والواهم) للطرف الآخر. ولم يكن الشتم مباشرًا، ولكنه كان يستخدم تعبيرات الاستخفاف والسخرية والمصادرة، مما يُخِلُّ بمنطلق الحوار ويرسِّخ مفهوم المؤامرة لدى المهوِّلين أو يلغيه لدى المهوِّنين، بدلاً من أنْ يسعى كلاهما لوضعه في موضعه اللائق به دون تهويل ولا تهوين، ويتَّبع في هذا أسلوب الإرجاف الذي يدخل في مفهوم التهويل، إنْ لم يدخل التهويل نفسه في أسلوب الإرجاف.

أجد أنَّ الدخول في مناقشة هذا الهاجس مغامرة علمية وفكرية، ذلك أنَّ استعراض أدبيات الموضوع تُدخل المتابعَ في متاهة ما يُصدَّق وما لا يُصدَّق. حتى لا يكاد أمرٌ يمرُّ على أمَّة إلا وتُتلمَّس وراءه أيدٍ خفيَّة من فجر التاريخ إلى اليوم، ويجد هؤلاء من البراهين والأدلَّة والقرائن ما يؤيِّد ما يذهبون إليه.[1]

(١) انظر: غاي ساليوستي كريسب. مؤامرة كاتيلينا/ ترجمة محمد بدرخان. ـ دمشق: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١٤٨ ص. وانظر أيضًا: علي أدهم. مؤامرة كاتيلين. ـ العربي. ـ ع ٩٥ (جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ/ أكتوبر ١٩٦٦م). ـ ص ٦١ ـ ٦٧.

أخشى أنَّ الانزلاق في هذا الهاجس قد يؤثِّر على إيهان المرء بالقضاء والقدر، بحيث يملي بعض المرجفين، دون قصد ودون تروٍّ، أنَّ كلَّ ما في الكون إنها هو حصيلة مؤامرات يتزامن بعضُها مع بعض ويتلو بعضُها بعضًا، بمعزل غير مدرك لمشيئة الله تعالى وإرادته وتدبيره، لاسيَّما مع توالي الأحداث التي لا يُنظر إليها على أنها تصبُّ في مصلحة الأمَّة وخيرها من منظار أولئك الذين تلبَّست بهم عقدة المؤامرة. فتُعطى عناصر بشرية قوىً خارقةً، مع تجاهُل قدرة الله تعالى وتدبيره وكون هذا الكون يسير بإرادته تعالى، ودون أنْ يكون هناك قدرات بشريَّة لا تملك أنْ تخرج عن هذه الإرادة الإلهية مهما حاولت ذلك.

لا يتَّسع هذا البحث لاستعراض بعض العنوانات التي تتعاطى مع هذا المفهوم تطبيقًا منذ بداية التاريخ،[1] ناهيك عن عرض محتويات هذه الأبحاث والمقالات، تلك التي تملي على المتلقِّي أنَّ الدنيا كلها محاطة بالشرور، وأنَّ الجميع يتربَّص بالجميع الدوائر؛ لتحقيق مصالح ضيِّقة، أو للإنابة عن الشيطان في تحقيق

(١) سعى محمد عبدالله عنان إلى استقراء المؤامرات عبر التاريخ في كتابه: تاريخ المؤامرات السياسية وتطوُّراتها الاجتماعية والقانونية من أقدم العصور إلى أحدثها. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٨م. ـ ٢٨٠ ص.

وعده الذي قطعه على نفسه أمام الله تعالى لغواية بني البشر، إلا أنَّ الشيطان قد استثنى عباد الله المخلَصين على مرِّ الأزمان. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ (ص: ٧٥ـ ٨٣).

العودة إلى التحليلات الفكرية عن التاريخ الإسلامي لم تغفل هذا الهاجس منذ اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه على يد أبي لؤلؤة فيروز المجوسي فجر يوم الأربعاء ٢٤/ ١٢/ ٢٣هـ الموافق ٣/ ١١/ ٦٤٤م، بمعاضدة من جفينة النصراني والهرمزان ابن يزدجرد وكعب الأحبار،[1] والفتنة التي تجسَّدت فيها المؤامرة

(١) يتَّفق الذين كتبوا حول موضوع مقتل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه على أنَّ قتله كان مؤامرة أطرافها الهرمزان وجفينة النصراني وأبو لؤلؤة فيروز المجوسي، وبعلم من كعب الأحبار. وممن اثبت هذا التوجُّه كلٌّ من عباس محمود العقَّاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وحسين مجيب المصري وكارل بروكلمان وأحمد الحفناوي.

انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟ (الصوفية). ـ دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٦م. ـ ص ٨٢.

في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفَّان رضي الله عنه في ١٨/ ١٢/ ٣٥هـ الموافق ١٧/ ٦/ ٦٥٦م، والمؤامرة التي حاكها ثلاثة بغاة من الخوارج هم عبدالرحمن بن ملجم المرادي والبُرك بن عبدالله التميمي وعمرو بن بكير التميمي لاغتيال ثلاثة من صناديد العرب والإسلام ، وهم الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكون ثالثَ ثلاثة يُغتالون في وقت واحد، والاثنان الآخران هما معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في الشام وعمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر، فينجو معاوية من البرك بن عبدالله وعمرو بن العاص من عمرو بن بكر الميمي، ويذهب الخليفة الراشد ضحية هذه المؤامرة علي يد الخارجي عبدالرحمن بن ملجم. وكان ذلك فجر السابع عشر من شهر رمضان المبارك من سنة ٤١هـ الموافق ١٤/ ١/ ٦٦٢م.

هذا دون إغفال ما حدث لطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوَّام رضي الله عنهما والمبالغة في تأثير السبئية وعناصر أخرى حيكت حولها الروايات لأغراض شعوبية لا علاقة لها بالأحداث التي أسالت في جسم الأمة جرحاً لا يزال ينزف، وأسهمت في فرقة الأمَّة إلى شيع وطوائف تصل إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة،[1] هذا في

(١) انظر: علاء الدين المدرس. المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام: الأسباب الخفيَّة لاغتيال عمر وعثمان وعلي والحسين ونشأة السبئية والخوارج.ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م.ـ ٢٠٠ ص ٥٢ـ ١٤٢.

مقابل إنكار وجود هذه العناصر من طرف آخر، أو أطراف أخرى وإنكار ضلوعها في مخطَّط تآمري لتمزيق الأمَّة.[١]

والموقف هنا هو إثبات وجود هذه العناصر وضلوعها في المؤامرة بما في ذلك تأثير عبدالله بن سبأ في الأحداث المؤلمة التي جرت في الصدر الأول من الإسلام، لكن دون مبالغة في ذلك التأثير أو تهويل فيه.

ثمَّ المؤامرة على خُذلان سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في توالي أحداث مؤلمة ومحزنة، لاسيَّما أنها حدثت مع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من هو مكانة عند رسول الله ﷺ وعند والديه رضي الله عنه وعند من أحبَّ رسول الله ﷺ وأحبَّ من أحبه رسول الله ﷺ، ليتوالى مسلسل المؤامرات والفتن في التاريخ الإسلامي خلال الخلافة الأموية والخلافة العبَّاسية،[٢] وما تلاهما من خلافة إسلامية ودول بين

(١) انظر: عبدالسلام حمدي اللمعي. المؤامرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ. القاهرة: الدار العالمية، ٢٠٠٤م. ـ ٥٢٣ ص.

(٢) انظر: علاء الدين المدرس. المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام. ـ مرجع سابق. ـ ٢٠٠ ص.

تهويل وتهوين في النظرة والحكم.(١)

يستدعي هذا من مفكِّري التاريخ ومفسِّريه والباحثين فيه من المتخصِّصين في التاريخ الإسلامي تحريرَ هذه المواقف، وبيان ما كان منها داخلاً في مفهوم المؤامرة وما كان منها خارجًا عنها، دون تهوين ولا تهويل، هذا مع تورُّع الكتَّاب المسلمين عن الخوض في هذه الأحداث التي حصلت بين الصحابة من منطلق فكري دون خلفية علمية تاريخية قوية. على أنَّ المؤرِّخين والعلماء المسلمين يفضِّلون تنزيه ألسنتهم وأقلامهم من الخوض فيما دار بين الصحابة من الخلافات، كما نصَّ عليه سيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته: العقيدة الواسطية.

رغم ما يُقال عن أنَّ الولايات المتَّحدة تُعدُّ موطنَ منظِّري المؤامرات كما سيأتي ذكره، إلا أنه في الوقت ذاته أضحى الفكر العربي الإسلامي أسيرًا لعقدة المؤامرة، لاسيَّما في الجانب السياسي، الذي أُريد منه أنْ يكونَ هو الطاغي على الفكر الإسلامي، في ضوء

(١) انظر: فهمي الشناوي. المؤامرة على إسقاط الخلافة العثمانية. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. ـ ٥٩ ص. وانظر أيضًا: زكريا سليمان بيومي. قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين: التحالُف الصليبي الماسوني. ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. ـ ٣٢٢ ص.

تجاهُل الأبعاد الحيوية الأخرى لهذا الدين القويم، ومنها الأبعاد الاجتماعية والتربوية والنفسية والاقتصادية التي لم تسلم من تعريضها لهاجس المؤامرة، مع كلِّ تطوُّر أو تغيُّر اجتماعي يفرضه الزمان، فيُعزى ذلك كلُّه، لا بعضه ولا جلُّه، رغم محلِّيته غالبًا إلى الأيدي الخفية التي تريد زعزعة هذه المجتمعات، بما في ذلك الوقوف في وجه الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية(١) في بعض الأقطار الإسلامية التي قصَّرت في هذا المنحى، ووقوف قوىً خفيَّةٍ، أضحت من حقائق القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، العشرين والحادي والعشريين الميلاديين، في وجه هذا المشروع الحيوي.(٢)

في رحلة البحث عن المعلومة الموثوقة بين صفحات الكتب والدوريات الورقية والإلكترونية يمكن للمرء أنْ يخرج بانطباعات حول طريقة معالجة مفهوم المؤامرة. ومن هذه الانطباعات بروز

(١) انظر: مصطفى فرغلي الشقيري. في وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١٦٨ ص.

(٢) انظر: جابر رزق. المؤامرة على الإسلام مستمرَّة. ـ ط ٢. ـ الإسكندرية: دار الدعوة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ص ١٠٠ ـ ١٠٥. وانظر أيضًا: طه الدسوقي حبيشي. الإسلام واستمرار المؤامرة: الخداع والتضليل/ تقديم محمود حمدي زقزوق. ـ القاهرة: المؤلف، ١٩٨٨م. ـ ١٤٤ ص.

تدخُّل الهوى أحيانًا في المناقشات، حيث تفرض بعض الأبعاد الحركية تغليب الهوى على الموضوعية، على خلاف ما يدعو إليه علماء من السلف والخلف في هذه الأمَّة من نظرة موضوعية للأحداث ولو كانت ليست في المصلحة المباشرة الظاهرة. يقول عبدالرحمن بن مهدي (من كبار أئمَّة الحديث الثقات، ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م): «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم».(١)

وينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «ما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانَّةً أنها تفعله طاعةً لله».(٢) ويقول ابن القيم: «كل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدِّها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل». ويقول ابن تيمية: «خفاء

---

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل. ـ ط ٧. ـ الرياض: المحقق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ص ٨٥.

(٢) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام. مجموع فتاوى شيخ الإيلام ابن تيمية/ جمعها ورتَّبها عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ومحمد بن عبدالرحمن بن قاسم. ـ ٣٧ مج. ـ الرياض: مكتبة العبيكان. ـ ٢٨: ٢٠٧ـ.

العلم بما يوجب الشدَّة قد يكون رحمة. كما أنَّ خفاء العلم بما يوجب الرخصة قد يكون عقوبة، كما أنَّ الشكَّ قد يكون رحمة وقد يكون عقوبة. والرخصة رحمة».[١]

إنْ يكنْ شيء من ذلك الطرح مقبولاً دون مراء فإنه لا يُقبل أنْ تحوَّل الأمور كلها إلى هذه المصيدة التي أسهمت في شلِّ الفكر إلى حدٍّ كبير، بحيث أضحت مناقشة الأوضاع الفكرية بين العرب والمسلمين لا تتمُّ دون التعرُّض إلى أنَّ المجتمع المسلم قد صُفِّدت إمكاناته من قِبَل تلك الأيادي الخفية، بما في ذلك وفي ضوء توافر المعلومة تسلُّل توجُّهات فكرية يسارية لا تلتقي مع الفكر الغربي الرأسمالي، فتستغلُّ هذا الموقف لترويج بضاعتها بالمقالات والكتب التي تلقى رواجًا متسرِّعًا من بعض المتلقِّين العرب لمجرَّد أنها تتهجَّم على الإمبريالية الغربية، وربَّما أنها بهذا تروِّج من طرف خفيٍّ لأفكارها،[٢] فيكون الفكر العربي قد تبرّأ من الإمبريالية ووقع في ما هو أخطر منها، فأضحى الفكر العربي كما قال الشاعر العربي:

(١) ـ انظر: أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإيلام ابن تيمية. ـ المرجع السابق. ـ ١٤/ ١٥٩.

(٢) انظر: بونداريفسكي. الغرب ضدَّ العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا/ ترجمة إلياس شاهين. ـ موسكو: دار التقدُّم، ١٩٨٥م. ـ ٤١٥ ص.

والمستجير بعمـروٍ عنـد كربتـه
كالمستجير من الرمضـاء بالنـار

يزيد التركيز على هذه المفهومات مع انتشار المعلومة وسهولة الوصول إليها عند البحث عنها. هذا في مجال الإنتاج الفكري المنشور بعد خضوعه لأساليب الفحص والتحكيم وأنظمة النشر. وتأتي وسيلة نشر واسعة للمعلومات، لا تخضع لرقابة، ولا تعترف بالتحكيم لما يطرح، ولا يُفحص ما ينثر فيها، لا ما يُنشر، تلك هي الإنترنت أو الشبكة العنكبوتية، فتكون مجالاً لتأجيج مفهوم المؤامرة، وإنْ كانت في الجانب الآخر قد أتاحت مجالاً واسعًا لحرِّية الرأي وحرِّية التعبير، وأثْرت الاتِّصال بين الناس، إلا أنها تخطَّت في بعض مناقشاتها هذا المفهوم من الحرِّية إلى المخالفة الصريحة للحرِّية المنضبطة التي تستوحي الفضيلةَ في وجه الانحراف، والعدلَ في وجه الجور، والحقَّ في وجه الانزلاق مع الهوى، والخيرَ والإيثارَ في وجه الأنانية، والبعدَ عن الضرر في وجه غرائز الشرِّ.[1] كما هو مضمون رؤية الإمام السخاوي (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، رحمه الله تعالى، للحرِّية المؤصَّلة في قوله: «الإسلام أعطى الإنسان الحرية

---

(١) نقلًا عن: سلامة محمد البلوي. دور حرِّية التعبير في الازدهار الحضاري. ـ شؤون اجتماعية (جامعة الشارقة). ـ ع ٨٨ (شتاء ٢٠٠٥م). ـ ص ٣١ ـ ٦١.

وقيدها بالفضيلة حتى لا ينحرف، وبالعدل حتى لا يجور، وبالحق حتى لا ينزلق مع الهوى، وبالخير والإيثار حتى لا تستبد به الأنانية وبالبعد به عن الضرر حتى لا تستشري فيه غرائز الشر».[١]

بالرجوع إلى حال واحدة أُخضعت لمفهوم المؤامرة في موسوعة وكيبيديا (أحداث يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م) وجدت أنَّ المَراجع التي استعانت بها الموسوعة في مناقشة هذه الحال وحدها وصلت إلى مئتين واثنين وأربعين (٢٤٢) مرجعًا في عرض لم يزِدْ على ستين (٦٠) صفحة إلكترونية، (٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ٦/ ٥/ ٢٠٠٨م).

على أنَّ ما يطرح في الإنترنت معظمه يتَّكئ على الإعلام بوسائله المختلفة، فتأتي الأخبار مكرَّرة، إلا أنَّ التعليق عليها يأخذ مساحةً أرحب، ويسعى إلى قراءة ما بين السطور، وربما قراءة ما لم يُكتب أو يُنشر. ومن هذه القراءات الإضافية ما يدخل في مفهوم المؤامرة من منطلق أنَّ هناك خفايا لا تقبل النشر.

---

(١٥) انظر: الحَافظ، أبو الفضل، عبدالرحيم بن الحُسين العراقي فَتْحُ المُغِيثِ بِشَرْحِ أَلْفِيَّةِ الحْدِيثِ/ شرح الحافظ، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دراسة وتحقيق عبدالكريم بن عبدالله الخضير ومحمد بن عبدالله بن فهيد آل فهيد. ـ ٥ مج. ـ الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

لعلَّ هذه الوقفات آثرت التركيز على تأثير مفهوم المؤامرة في المجتمع الفكري العربي والإسلامي الذي بان تأثُّره في بعض توجُّهاته بها ورغبته في إثباتها، ليعلِّق عليها سلسلة الإخفاقات التي تعرَّض لها المشروع النهضوي العربي الإسلامي، وأنَّ هناك قوىً خفيَّةً حالت دون نجاحه، مع عدم إغفال وجود مؤيِّدات لهذا الهاجس من خلال ممارسات دولية تعين على ترسيخه، ولكنَّها لا تملك أنْ تعطِّل هذا المشروع بالكُلِّية إلا إذا تمَّ الاستسلام لهذا الهاجس من الداخل.

نتج عن هذا الموقف أنْ كثُر التلاوم وزادت فجوة التلاؤم بين العرب والمسلمين أنفسهم، وزاد من ثمَّ جلد الذات بينهم، مما حدا ببعض المعنيين بالفكر العربي والإسلامي إلى الدعوة إلى تجديد الخطاب العربي والإسلامي وتجديد الفكر الإسلامي أو التجديد في الفكر الإسلامي وتنقيته من شوائب علقت به، ومنها المبالغة في جلد الذات ومنها في المقابل المعاكس تبرئة الذات وإلقاء التبعات كلها على الآخر.

جرى الترويج للموقف العدائي من الغرب عمومًا دون تفريق في المواقف والأشخاص والسياسات. بشَّر بهذا لمدَّة طويلة أتباعُ ما يمكن أنْ يسمَّى بالإسلام الحركي الذي نظر إلى الآخر دون

استثناء، بما فيهم بعض المسلمين أنفسهم، من زاوية منطلقاته الفكرية. أفرز هذا الموقف من أراد أنْ يتصدَّى له من المسلمين أنفسهم، فينبري من ينتقد الإسلام الحركي، فيخلط بين النقد للبُعد الحركي والأحكام الإسلامية الثابتة.[1]

من التجديد في الخطاب الإسلامي وضع هذا المفهوم في وضعه الطبيعي دون إثبات مطلق أو نفي مطلق، أي دون تهوين ولا تهويل، مع التوكيد على الابتعاد عن جلد الذات، الأمر الذي قد يحدث حيرة بين توَجُّهين؛ أحدهما يتمثَّل قول الشاعر:

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا
وما لِزماننا عيبٌ سِوانا

ومن ثمَّ يقفز إلى قول الشاعر عمرو بن معدي كرب:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا
ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادي
ونارٌ لو نفخت بها أضاءت
ولكنْ أنت تنفخ في رمادِ[2]

---

(١) انظر: عبدالرحيم بوهاها. الإسلام الحركي. ـ بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م. ـ ص ١١٦ ـ ١٢٦. ـ (سلسلة الإسلام واحدًا ومتعدِّدًا).

(٢) البيتان لعمرو بن معدي كرب الزبيدي وقيل: لبشار أو دريد بن الصمَّة. انظر: الموسوعة الشعرية. والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ـ (البيت الأول).

وقول أبي الطيب المتنبي:

مَـن يهُـنْ يسـهُلُ الهـوانُ عليـه
مَـا لجُـرحٍ بمَيِّـتٍ إيـلامُ

والآخر يقول: إنَّ الأمر يعود إلى الإصرار الخارجي على الوقوف في وجه الإقلاع العربي الإسلامي من قِبَل أعداء الإسلام والعروبة وبسبب الخوف من الإسلام وكونه خطرًا يهدِّد الكون، ولا علاقةَ مباشرةً للعرب والمسلمين بما يحدُث لهم! فهي سهامٌ تتلوها سهامٌ موجَّهة إلى صدر الأمَّة وجسدها كلِّه على حدِّ قول الشاعر:

ولو كانَ سهمًا واحدًا لاتَّقيتُه
ولكنَّـه سهـمٌ وثانٍ وثـالثُ[١]

وقول أبي الطيب المتنبي:

فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ
تكسَّرت النصالُ على النصالِ[٢]

بقيت ملحوظة يسيرة هي أنَّ هذه الوقفات تسعى إلى مناقشة

(١) أورده أحمد الهاشمي في: السحر الحلال ولم ينسبه.

(٢) انظر: عبدالرحمن البرقوقي. شرح ديوان المتنبي. ـ ٤ مج. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ـ د. ت. ـ ٣:١٤١.

مفهوم المؤامرة من منطلق علمي موضوعي محايد، إلا أنه منطلق لا يخلو في الوقت نفسه من توظيف الانتماء الذي لا يُغفل نصوصًا قطعية من الكتاب والسنَّة في النظر إلى هذا المفهوم، وفي النظر إلى تفسير الأحداث وسنن الكون، وبيان مدى العلاقات بين الأمم وما يحكمها في الشرع. ويسعى إلى محاولة تأصيل المفهوم بعيدًا عن أيِّ شعور بالمبالغة والإفراط أو التفريط في النظر إليه.

مع هذا وابتعادًا عن التحيُّز لم تُغفل هذه الوقفات الأطروحات ذات النزعة الذاتية، لاسيَّما تلك التي تظهر على الإنترنت والتي لا يظهر عليها أنها تحترم عقلية المتابع والمهتمِّ الباحث عن إجابة كافية وموقف مثالي حول المفهوم. والتعرُّض لها في هذه الدراسة لا يقتضي الموافقة المطلقة على كلِّ ما جاء فيها، إذ إنَّ كلاًّ يؤخذ من كلامه ويردُّ إلا من عصم الله تعالى من أنبيائه ورسله عليهم السلام.

فرضت طبيعة البحث في هذا الموضوع، القائم على استقراء الفكر العربي الإسلامي في موقفه من المؤامرة، المرور على أكبر قدر ممكن من الإسهامات فيه، واقتضت طبيعة الاستقراء في الفكر العربي الإكثار من الاقتباسات والاستشهادات، ومن ثمَّ كثرت المراجع المؤيدة لتوجُّه من التوجُّهات الثلاثة في الموقف من مفهوم المؤامرة أو الناقدة لها. لا يعني هذا بأي حال الالتفات إلى كلِّ من

أسهم في هذا الموضوع لمجرَّد أنه أو أنها أسهما في هذا الموضوع، فكان لابُدَّ من الانتقائية القائمة على قدر من الموضوعية بناءً على طبيعة الطرح الذي قد يغلب عيه في بعض هذه الإسهامات المتحاملة، بغضِّ النظر عن طبيعة توجُّه المسهمين.

ولا يختم هذا التمهيد دون الاعتراف بفضل ثلَّة من إخوتي العلماء والمفكِّرين الذين اطَّلعوا على مسودات هذا الجهد وسجَّلوا عليها مرئياتهم القيِّمة التي لم تذهب دون الإفادة منها وهي تسعى إلى أنْ يستقيم الفكر والقلم، فلهم مني جميعًا دون تحديد جزيل الشكر والامتنان على وقفاتهم معي. والشكر الجزيل للناشر الذي اقتنع بجدوى هذا الجهد وقبل أنْ يتحمَّل مسؤولية نشره.

وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم النملة

رجب ١٤٣٠هـ

يوليو ٢٠٠٩م

الوقفة الأولى

رحلة المفهوم

إنَّ أصل التآمُر والائتمار في اللغة هو التشاوُر بين اثنين أو أكثر لفعل أمرٍ ما أو لتجنُّب أمرٍ ما، وفيه قبول أمر الآمر فهو مطاوع له، جاء وشاع في التشاور «لأنَّ المتشاورين يأخذ بعضهم أمرَ بعض فيأتمر به الجميع»،(١) كما جاء في: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني،(٢) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي والكشَّاف للزمخشري، و: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور والقاموس المحيط للفيروز آبادي والمعجم الوسيط، وفعله ائتَمَرَ. وتآمَرَ القوم أي تشاوَروا،(٣) ويضمَّن معنى يهمّون. وهو فعلٌ لازم من صيغة تفاعَلَ مما يحصل الفعل به عادة من اثنين فأكثر للوقيعة بطرف آخر في الغالب، ومن غير الغالب ورود المفهوم بالصيغة الإيجابية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟

(١) انظر: محمد الطاهر بن عاشور. تفسير التحرير والتنوير. ـ ٣٠ مج. ـ تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م. ـ ٢٠: ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) انظر: أبا القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ). المفردات في غريب القرآن/ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني. ـ القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م. ـ ص ٢٥.

(٣) انظر: إبراهيم مصطفى وآخرين. المعجم الوسيط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٦.

عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴾ (الطلاق: ٦). وإذا أُريد له أنْ يتعدَّى فإنَّه يتعدَّى بحرف الجرِّ فيقال ائتَمروا بفلان وتآمروا عليه أي تشاوَروا في إيذائه، ومن هنا جاء اللفظ متعدِّيًا بحرف الجرِّ بالمفهوم السلبي غالبًا.

والمؤامرة كما في الموسوعة العربية العالمية هي: «اتِّفاق بين شخصين أو أكثر للقيام بعمل ما ضدَّ القانون. وقد يكون هذا العمل ضدَّ الأشخاص العاديين أو الاعتباريين (المؤسَّسات أو الهيئات)، وليس من الضروري عادةً أنْ تُنفَّذ المؤامرة أو أنْ يُسلب شخصٌ حقَّه أو يؤذى. ويُعدُّ التآمر جريمةً، كما يُعدُّ كلُّ شخص متورِّط في المؤامرة مسؤولاً قانونًا عن النتائج سواء أكانت مقصودةً أم لا. ويُعاقب المتآمر إما بالغرامة بالسجن، وفي بعض البلدان تكون العقوبة الإعدام في حال حدوث خسائر في الأرواح».[1] وعاقب عليها القانون الروماني على أنها خيانة عظمى وصلت عقوبتها إلى الإعدام في شأن ماركوس مانيلوس الذي اتُّهم بالتآمر للقفز على السلطة.[2]

---

(١) انظر: مؤسَّسة أعمال الموسوعة. الموسوعة العربية العالمية. ـ ٣٠ مج. ـ ط ٢. ـ الرياض: المؤسَّسة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). ـ ٢٢: ٢٩.

(١) انظر: أحمد الحفناوي. حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ١٧.

والمؤامرة كما توردها موسوعة ويكيبيديا هي عدم تفسير الأمور حسب المعطيات الواقعية والمنطقية المتوفِّرة أو المستنتجة وتفسيرها على أساس أنها من فعل شخص أو جهة منافسة تبقى دائمًا محصورة بفكرة يحملها معه في كل وقت.(١)

من مقتضى المؤامرة في هذه السياقات أنَّها تستدعي المكر والكيد والخديعة والتواطؤ والخروج عن النظام العام والتشريعات والقوانين، ومن وسائلها الدسائس التي تُحاك للوقيعة بين طرفين أو أكثر، والإيذاء مقصود بها، إذ الغالب على الدسائس الإيذاء، كما أنَّ من طبيعة الدسائس خفاءها عن المقصود بها، والخفاء والسرِّية من مقتضيات المؤامرة.(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٢).

❖ **المؤامـرة والغمـوض:**

مفهوم المؤامرة ـ سواء أسمِّيت نظرية أم سمِّيت عقدة أم أُعطيت ألفاظًا أخرى؛ هروبًا من اللفظ «مؤامرة» كالمكر أو المكيدة (SET UP) ـ هي من المفهومات التي بات لها طرح قوي في الساحة

---

(١) انظر: - info@almultaka.net - ١٥/ ٤/ ١٤٢٩هـ/ ٢١/ ٤/ ٢٠٠٨م

(٢) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٌ؟. ـ د. م.: المؤلِّف، ٢٠٠٧م. ـ ص ٨٨ ـ ٨٩

الثقافية العالمية، ومنها الساحة العربية والإسلامية. ولابدَّ أنْ يكون لهذا الطرح مسوَّغاته الأولية التي جعلت رهطًا من المفكِّرين العرب والمسلمين ينفصلون إلى فريقين رئيسيين حيال هذا المفهوم بين مهوِّل لمفهوم المؤامرة ومهوِّن لها، وألاَّ أثر لها في حياة الأمم. كانت بعض الأطروحات حول هذا المفهوم تقوم على ردِّ الفعل القوي وربَّما المتطرِّف، بل ربَّما العنيف الذي يقوم على أسلوب المغالطة. وبقي رهطٌ ثالث وقفوا موقفًا وسطيًّا فلم يهوِّنوا ولم يهوِّلوا.

ومفهوم المؤامرة مفهومٌ غامض يقتضي قدرًا من التخمينات، ولذلك يقال إنَّه ليس من المؤامرة تلك الأحداث الحقيقية الواضحة. «it's not a conspiracy theory if it's actually true».(١) وهو مفهوم قديم قدم البشرية. وقد جاءت الكتُب السماوية والآثار التاريخية تروي عن الأمم السابقة بعض حوادث التآمُر. وقد ورد اللفظ صريحًا في القرآن الكريم بشأن نبي الله موسى عليه السلام في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (القصص: ٢٠). وقبله وبعده حيكت مؤامرات على الأنبياء والرسل إبراهيم ولوط

(١) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة على الشبكة العنكبوتية تحت المصطلح (Conspiracy Theories). (٢٣/ ٤/ ١٤٢٩هـ/ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٨م).

وعيسى ومحمد ـ صلى الله عليهم وسلم ـ وغيرهم،[1] قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ (يوسف: ٧ – ١٠).
قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٨ – ٧٠).

يقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بشأن الفتيين اللذين دخلا معه السجن (٢: ٤٧٧): «قال السدي: حبس الملك إياهما أنه توهَّم أنهما تمالآ على سمِّه في طعامه وشرابه». وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥: ١٨٩) بشأنهما: «فكان في حبسه حتى غضب الملك على خبَّازه وصاحب شرابه، وذلك أنَّ الملك عُمِّر فيهم عملَه، فدسُّوا إلى خبَّازه وصاحب شرابه أن يسمَّاه جميعًا، فأجاب الخبَّاز وأبى صاحب الشراب، فانطلق صاحب الشراب

(١) انظر: المؤامرات على الأنبياء والرسل. ـ ص ١٧ ـ ٣٣. ـ في: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٌ؟. ـ مرجع سابق. ـ ٢٢٨ ص.

فأخبر الملك بذلك، فأمر بحبسهما، فاستأنسا بيوسف». وفي البداية والنهاية لابن كثير (١: ٤٧٤): «كان الملك قد اتَّهمهما في بعض الأمور فسجنهما». وذكر غيرهما أنَّ الملك نفسه هو الذي دبَّر المكيدة هذه ليختبر ولاء قومه له.

وقد تآمرت اليهود على قتل عيسى بن مريم عليه السلام وصلبه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ (النساء: ١٥٧). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (النمل: ٤٨ - ٥١). مما يعني ورود هذا المفهوم في القرآن الكريم في الجانب القصصي حول الأمم السابقة ومواقفها من الأنبياء والرسل والمصلحين، خلافًا لمن سعى إلى تنزيه كتاب الله من ذكر المؤامرات التي حيكت في تاريخ الأمم السابقة.

وهذا يستدعي بحثًا مستقلاً عن المؤامرة في الكتاب والسنة يقوم به متخصِّص فيهما يستقرئ قصص الأنبياء والأمم السابقة وأقوال

العلماء المفسِّرين في مواقف الأمم من دعوات التوحيد والإخلاص لله بالطاعة. مع استحضار احترام أنبياء الله تعالى ورسله وعصمتهم واستحالة أنْ يكونوا طرفًا في أيِّ تدبير يُراد من ورائه السوء.

إلا أنَّ هذا المفهوم قد استُخدم بكثرة في العشرينات من القرن الرابع عشر الهجري، مطلع القرن العشرين الميلادي (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) على أنَّه مصطلح محايد، ثم أخذ مفهومه المتداول الآن في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري الستينات من القرن العشرين الميلادي. ودخل المصطلح ملحق قاموس أكسفورد للَّغة الإنجليزية سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.[١]

يقتضي مفهوم المؤامرة أنْ يُحاط الموضوع المراد تنفيذه بالسرية والخفية التامَّة،[٢] أو عدم القدرة على تفسير الحدث بعد حدوثه، أو عدم ظهور معنىً مقبول له، ولهذا فإنَّ المفهوم لا يتماشى مع النمط المؤسَّسي العام والمتداول، ويعزِّز فكرة وجود بقع عمياء «blind spots» في تفسير الأحداث غير القابلة للتفسير، بل إنَّ المفهوم نفسه يعني عدم اللجوء إلى هذا النمط من التفكير إلى هذا

(١) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة على الشبكة العنكبوتية تحت المصطلح (Conspiracy Theories). (٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ - ٧/ ٥/ ٢٠٠٨م).

(٢) انظر: أحمد الحفناوي. حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام. - مرجع سابق. - ص ١٧.

الأسلوب المؤسّسي القائم على التوثيق وتوافر المعلومة الصحيحة وشفافية الإجراءات المتّخذة، كما يقول نعوم تشومسكي.(١)

ولذلك شاع التعبير عندنا بأنَّ هذا الأمر قد قُضِيَ بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان،(٢) فاستخدم التشاوُر هنا بمعنى التآمُر، وذلك عندما نريد أنْ نرجع أمرًا ما إلى أيادٍ خفية خطَّطت له في الخفاء. ومن معاني القضاء التقدير والصناعة. «قضى الشيء قدَّره وصنعه».(٣) وقال الشاعر:

ويُقضَـى الأَمرُ حينَ تغيبُ تَيـمٌ
ولا يُستشـهَدُونَ وهُم شُـهُودُ

ومن ذلك الشعور يمكن توظيف معلومات متوافرة، إلا أنَّ الاستدلال بها يأتي في سبيل تقوية الشعور بالمؤامرة، فلا اختلاف في وجود الأمثلة وإنما الاختلاف في الربط بين الأمثلة والواقع والعلاقة به. وربما أعرض الشخص عن المعلومات المتوافرة على

(١) انظر: Noam Chomsky. 9-11: Institutional Analysis vs. Conspiracy Theory. http:/blog/ ..(zmag.org/node/2779). (23/4/1429H. 29/4/2008G

(٢) نطق بها أبو جهل عمرو بن هشام بشأن الصحيفة. انظر: أبا الفداء إسماعيل بن كثير. السيرة النبوية. ـ ٤ مج. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م. ـ ٢: ٦٧ ـ ٦٩.

(٣) انظر: إبراهيم مصطفى وآخرين. المعجم الوسيط. ـ إستانبول: دار الدعوة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ص ٧٤٢.

اعتبار أنَّ توافرها بهذه السهولة هو بحدِّ ذاته للتضليل، وهذا التضليل مؤامرة.(١)

❖ المؤامرة وصناعة العداء:

من دواعي المؤامرة الشعور بوجود عدوٍّ متربِّص، فإنْ لم يوجد أُوجد، أو صُنع، مما يوحي بأنَّ مفهوم المؤامرة قد لا يكون نتاج تخطيط بقدر ما هو نتاج الفشل في النظرة بعيدة المدى. الشعور بالعداوة نشأ داخل الثقافة الواحدة، ثم خارجها. إذ كان العدو السابق للإنسانية في نظر الغربيين النهج الشيوعي، أو هكذا صُنعت الشيوعية عدوًّا للإنسانية، وتنضمُّ إليها الفاشية والنازية.(٢)

لذلك فإنَّ هذا المفهوم يفتقر إلى المصداقية لافتقاره إلى الدليل العلمي المقنع. ولعلَّ هذه النقيصة كان لها الأثر في مدى تصديق المفهوم؛ لأنَّ قبوله تهويلاً قد يعتمد على التذاكي، وليس بالضرورة الذكاء، ويتضاءل إعمال العقل والمنطق في تحليل الحدث من منطوق تآمري.

---

(١) انظر: عبدالله الصبيح. نظرية المؤامرة مرَّةً أخرى. ـ منارات. ـ ع ٧ (ربيع الثاني ١٤٢٦هـ ـ مايو ٢٠٠٥م). ـ ص ٢٩.

(٢) انظر: Karl Raimund Popper. The Open Society and its Enemies.- 2 vols.- Prinston: Prinston University Press, 1945. نقلًا عن موسوعة ويكبيديا الحرة على الشبكة العنكبوتية تحت المصطلح (Conspiracy Theories).

لابُدَّ من التوكيد مع مطلع هذه الوقفة أنَّ مفهوم المؤامرة حاضر في حياة الأمم ماضيها وحاضرها شرقيها وغربيها، وذلك لما تربَّى عليه هذا الإنسان من ميل إما إلى الخير وإما إلى الشرِّ، فالله تعالى قد أعطى الإنسان قدرات عقلية وذهنية، وترك له الخيار في استغلالها إنْ في الخير أو في الشرِّ، مع أنَّه تعالى حثَّ على استخدامها فيما فيه الخير. فكان من الإشكاليات في هذا المفهوم عدم القدرة على الوصول إلى التفريق بين الخير والشرِّ، فيكون الفرق نسبيّا مبنيًّا على سوء الفهم.

خلق الله تعالى في بعض الناس صفاتٍ تؤيِّد بقوَّة هذا السلوك كالقدرة على الكيد والمكر والكذب والخداع. وكلُّ هذه السمات الشخصية قد جرى استخدامها بين البشر، ووردت فيها الآثار من القرآن الكريم والسنَّة النبوية والكُتُب المنزَّلة ومنها التوراة والإنجيل، وإنْ كان مفهوم المؤامرة في التوراة والإنجيل قد تعرَّض لقدر من التدخُّل البشري لأسباب يطول ذكرها،[1] حتَّى صار التحريف مفهومًا مقبولاً في الثقافات التي قامت على هذين الكتابين المقدَّسين، بحيث يصل الأمر إلى حدٍّ أنْ تكون المؤامرة أصلاً راسخًا

(١) انظر بعض الأسباب لتحريف التوراة لدى: عصام الدين حفني ناصف. محنة التوراة على أيدي اليهود. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٨م. ـ ص ٣٥ ـ ٥٣.

لدى بعض الطوائف اليهودية والمسيحية التي يمكن أنْ يقال عنها إنَّ أصل وجودها قام على مفهوم المؤامرة. ومن ذلك ذكر قصَّة داود عليه السلام مع زوجة الجندي التي رآها متجرِّدة فطمع بها فأرسل زوجها في مقدِّمة الجند ليهلك فيتزوجها داود عليه السلام.[١]

وفي العهد القديم «التوراة» والعهد الجديد «الإنجيل» نماذج كثيرة من تآمر يهود على عيسى ابن مريم عليه السلام.[٢] ولأنَّ المزيد من ذكر الأمثلة المنتحلة على الأمم السابقة يمسُّ الأنبياء والصالحين، تحجم هذه الوقفات عن ذكر النماذج التي تنبئ بوجود المؤامرة في حياة هؤلاء،[٣] أو تنبئ عن وجود مؤامرات ضدَّهم، وهذا أسهل؛ لأنه من المتوقَّع في حقِّ الأنبياء والرسل أنْ يخالفهم بعض قومهم ويكيدوا لهم، ويمكروا بهم ويضيِّقوا عليهم.[٤]

(١) انظر: محمد علي دولة. لتفسدُنَّ في الأرض مرَّتين. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ص ٢٠٢. ـ (صفحات في اليهوديات).

(٢) يتحرَّج المفسرِّون المسلمون من ذكر هذه الأخبار عن الأنبياء والصالحين، وإنْ ضُمِّنت بعضُ التفاسير بعض الإسرائيليات غير الموثَّقة.

(٣) انظر: جوناثان كيرتش. حكايا محرَّمة في التوراة/ ترجمة نذير جزماتي. ـ دمشق: نينوى، ٢٠٠٣م. ـ ٤٠٣ ص. وفي هذا المرجع قصصٌ يندى لها الجبين عن مؤامرات تُحاك في بيوت النبوَّة، مما يتعارض عندنا مع طهارة هذه البيوت وعفَّتها وعصمة الأنبياء والرسُل ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ.

(٤) انظر: المؤامرات على الأنبياء والرسل. ـ ص ١٧ ـ ٣٣. ـ في: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٍ؟. ـ مرجع سابق. ـ ٢٢٨ ص.

خُلق الإنسان وخُلقت معه كذلك الإرادة، وإنما يأتي سلبها عند الاستسلام للسالب. ولعَّل المثال الأقرب إلى الذهن هو محاولات إبليس التلبيس على بني آدم بسلب إرادتهم المخلوقة معهم، إلا أنَّه لم يعطَ القدرة الخارقة على هذا السلب، ولذلك جعل الله تعالى كيده ضعيفًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٧٦).

بل إنَّ الله تعالى خلق الصادَّات التي تعيد كيد الشيطان إليه. تقتضي هذه الصادَّات عوامل إيمانية يصدِّقها العمل قولاً وفعلاً، ففي السيرة النبوية تآمر المشركون على قتل الرسول ﷺ واتَّفقوا في دار الندوة على أنْ تشترك القبائل في هذه المؤامرة لينتثر دمه عليه السلام بينها، لكن الله سلَّم، فكان الإذنُ بالهجرة إلى المدينة المنوَّرة.[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠). وقال

---

(١) انظر: مهدي رزق الله. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ. ـ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦. ويتحدَّث رزق الله عن هذه الواقعة على أنَّها مؤامرة. وانظر أيضًا: المصطفى المعقول. المؤامرة القرشية والإذن بالهجرة. ـ الإرشاد (المغرب). ـ ع ١ (رمضان ١٤١٣هـ/ مارس ١٩٩٣م). ـ ص ٩٢ ـ ٩٦.

تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٦). وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٦). وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس: ٩).

من الأبعاد التي لا تلقى توكيدًا في مقام الحديث عن المؤامرة ذلك البعد ذو العلاقة بوسوسة الشيطان وعمله على الكيد مهما كان كيده ضعيفًا، لذا فإنَّه عند الحديث عن مفهوم المؤامرة لا يتوقَّع التغافُل عن تأثير الشيطان في هذا المفهوم. والشيطان يدعو إلى الشرِّ، والشرُّ في صراع مع الخير، ولكلٍّ أعوانُه وعلاماته يختلفون بحسب الزمان والمكان والمؤثِّر والأهداف والمستهدفين. ولا بُدَّ من التسليم بذلك دون تحديد الأعوان تحديدًا دقيقًا سوى تحديد المؤثِّر في ذلك كلِّه وهو الشيطان، الذي ينزغ بين بني آدم على مستويات مختلفة. قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ١٠٠). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (فصلت: ٣٦).

❖ **المؤامـرة والملاحقـة :**

من منطلقات دراسة المؤامرة وتأثيرها على النفوس يؤكِّد علماء النفس أنَّ الذي يؤمن بوجود مؤامرة ما يؤمن بوجود غيرها، والعكس صحيح، فالذي لا يؤمن بالمفهوم في حال واحدة لا يؤمن بها في كلِّ الأحوال. وهذا يعتمد على نوعية المعلومات التي يعتمد عليها كل فريق حول حَدَثٍ ما، يدخل في المفهوم أو لا يدخل فيه.(١)

عدم الإيمان بوجود مؤامرة لا ينفي وجودها. ونفي وجود الشيء لا يعني عدم وجوده، كما أنَّ عدم العلم بوجود الشيء لا يعني عدم وجوده، فعدم العلم ليس علمًا بالعدم، كما تقول الفلاسفة. ولعلماء النفس في هذا عبارة قد لا يُدرك مطلقها تنصُّ على أنَّه «حتَّى لو كنت أعاني من جنون الملاحقة، ومن ثَمَّ الشعور بالاضطهاد والملاحقة «البارانويا»، فإنَّ هذا بحدِّ ذاته لا ينفي أنَّ

(١) انظر: موسوعة ويكيبيديا الحرة على الشبكة العنكبوتية تحت المصطلح (Conspiracy Theories).

أحدًا يلاحقني». واشتهرت عبارة ستالين في هذا الصدد: «لا أثق بأحد ولا حتَّى بنفسي».[١] كل هذا مبنيٌّ على فكرة تعليق مسؤولية الفشل على الآخرين. وهذا أسلوب يريح النفس.

لا يقتصر هذا الشعور المُزمن بالملاحقة على الأفراد، بل إنَّ بعض الحكومات قد تشعر بذلك، فتخاف من ملاحقة مواطنيها لها، لاسيَّما إذا كان هؤلاء المواطنون يشعرون أنَّ حكوماتهم متورِّطة في نشاطات مؤامرية وسرِّية، كما هي الحالُ لدى الشعب الأمريكي الذي ينتابه هذا الشعور بنسبة ٧٥٪ من المواطنين البالغين يشعرون أنَّ حكومتهم متورِّطة في هذه النشاطات، كما في الاستطلاع الذي نشرته مجلة george في جمادى الأولى سنة ١٤١٧هـ/ سبتمبر سنة ١٩٩٦م، ولم يكن هؤلاء جميعًا مصابين بالبارانويا.[٢]

تحوَّل هذا الشعور الموجود بين بعض العرب والمسلمين تجاه حكوماتهم إلى حالة من المبالغة المزمنة التي تصل إلى حدِّ الهوس، إذا ما أُرجعت جميع الكوارث التي تمرُّ بها الأمَّة إلى نوع من التآمر

---

(١) انظر: ماتياس بروكرز. المؤامرة ٩/ ١١: نظريات المؤامرة وأسرار ٩/ ١١ / ترجمة وتحقيق كاميران حوج. ـ كولن: منشورات الجمل، ٢٠٠٥. ـ ص ١٠.

(٢) انظر: ماتياس بروكرز. المؤامرة ٩/ ١١: نظريات المؤامرة وأسرار ٩/ ١١. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٥.

الغربي على العالم العربي والإسلامي،[١] وانطلقت أصوات جعلت من ذواتها وصيَّةً على الأمَّة، فأرجعت هذا الوضع إلى الفساد السياسي القائم على التبعية للغرب، وأنَّ بعض الحكَّام العرب أضحوا يتلقَّون الإملاءات من الغرب.

هذا الشعور في تسييس كلِّ نشاط بشري طاغٍ في كتابات هذه الفئة التي تمارس دور الوصاية، دون أنْ تكون لديها بالضرورة أدلَّة وبراهين واضحة على هذه الإدِّعاءات، وإنما هي داخلة في التحليلات التي تعتمد على التخمين. وأعان على ذلك ـ دون شكٍّ ـ تفشِّي القابلية لهذا الطرح لدى الشارع العربي نتيجةً لسلسلة من الإحباطات التي أصابته، فأوجد هذا الوضع حالاً من التوتُّر بين المواطنين وبعض القيادات، أدَّى إلى تجاهُل جميع الجهود المضنية التي تقوم بها القيادات لمصلحة المواطنين، ويعدُّها من ترسَّخ هاجس البارانويا لديه على أنها لم تصدر عن إخلاص، وإنما هي لذرِّ الرماد على العيون! وهنا يأتي دور الدخول في النوايا والمقاصد.

يمتدُّ هاجس البارانويا ليشمل شعوب تشعر بأنها مضطهدةٌ من شعوب أخرى، فمن منطلق تأثير المؤامرة على المجتمعات

(١) مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعريب عادل المعلِّم ويس إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ـ ص ٥٥.

يؤكِّد علماء الاجتماع السياسي أنَّ بيئة مفهوم المؤامرة تترعرع في المجتمعات المنعزلة أو المعزولة، وتلك المجتمعات التي تضعف فيها القوَّة والمشاركة السياسية، وبين الأقوام الذين لا حول لهم ولا قوَّة. يتمثَّل هذا بصورة واضحة لدى اليهود الذين تذرَّعوا بعدد من القضايا التي سيأتي ذكر بعض منها، وذلك لشعورهم بالعزلة والتشرُّد وعدم الاستقرار وأنَّهم شعب أو أمَّة غير مرغوب فيها وأنَّ لها أعداءً يحاربون وجودها. ومن ثَمَّ كان لليهود ليبقوا أنْ يسلكوا طرقًا غير شرعية لبقائهم، فيكون لهم أثرٌ في كثير من الأحداث التي تنزع إلى زعزعة الاستقرار في أكثر من منطقة وفي أكثر من حقبة زمنية.

نتج عن هذه المواقف غير الطبيعية لتنافيها مع الفطرة أنْ كره اليهود ذواتهم وطفقوا يتهرَّبون منها ومن أفكارها التي تجسِّدها دولتهم في فلسطين المحتلَّة، بحيث ظهرت دعوات للتفريق بين الهوية اليهودية والدولة اليهودية.[١]

ولأنَّ مفهوم المؤامرة يقوم غالبًا على المعلومة التي يراد لها أنْ تنتشر، أو لا يراد لها ذلك في أحوال أخرى، فإنَّ هذا المفهوم يمثِّل

---

(١) انظر: : David Mamet. The Wicked Son: Anti-Semitism, Self-Hatred, and the Jews. Schocken, 2006.- 208 p.

المادَّة المعتمة لعصر المعلومات الذي لم يتمكَّن إلى الآن، رغم هذا الانفتاح الإعلامي والشفافية المعلوماتية، من السيطرة الذهنية على مفهوم المؤامرة من حيث مدى القبول أو الرفض.[١]

مع هذا لا يُنكر البعد الإعلامي في كشف كثير من المؤامرات كشفًا موثَّقًا، يعجب المرء معه كيف سمحت السلطات النافذة في الإعلام كالاستخبارات ووزارات الحربية والخارجية بنشر معلومات خطيرة، ومن المستفيد من نشرها سوى المواطن العادي الذي لا ناقة له في التدبير ولا جمل على حدِّ قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

أتـــاح لـهـا لســـــان حســـــود

(١) انظر: ماتياس بروكرز. المؤامرة ٩/ ١١: نظريات المؤامرة وأسرار ٩/ ١١. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧.

الوقفة الثانية

المؤامرة والسياسة

كثيرًا ما يوظَّف مفهوم المؤامرة في الأبعاد السياسية التي تقتضي تبعًا أبعادًا فكرية وثقافية، بحيث تكون السياسة هي المحرِّك لأيِّ بُعد آخر يحقِّق الهدف السياسي المبني على مفهوم الهيمنة. والهيمنة تعديل لفظي حديث جرى الترويج له بعد انتهاء الحرب الباردة في العقد الثاني من القرن الهجري الخامس عشر العقد العاشر من القرن العشرين المنصرم، لمفهوم قديم جرى الاصطلاح على تسميته بالاستعمار إبّان حقبة الاحتلال.(١)

ويمكن أنْ يُقال بوجه عامّ «إنَّ معظم المؤامرات السياسية كان باعثها الصراع من أجل طلب السيطرة والنفوذ والسلطان،

---

(١) يفضِّل بعض المفكِّرين الثبات على مصطلح الاحتلال بدلًا من الاستعمار، لأنَّ المدلول اللغوي للاستعمار لم يتحقَّق في حال الاحتلال، فلم يكن مرادًا أو مقصودًا. وربما قيل إنَّ الإصرار على استخدام مصطلح الاستعمار، كما الإصرار على استخدام التبشير بدلاً من التنصير، قد يكون داخلاً في المفهوم الأوسع للمؤامرة! الذي يظهر للباحث، دون إصرار منه، أنَّ في هذا المنحى مبالغةً غيرَ مرغوب فيها. انظر: عبدالوهّاب المسيري. الصهيونية وتأثيرها في علاقة بين الإسلام بالغرب. ـ أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. ـ ص ٦. ـ (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ٦٥).

أي أنها في جوهرها لونٌ من ألوان الصراع السياسي».[١] ولذلك اعتبرت المؤامرة هي المحرِّك «الفاعل» للانقلابات السياسية على مرِّ التاريخ، فكل انقلاب له ارتباط بالتآمر على السلطة.[٢]

ربَّما قيل إنَّ أول مؤامرة سياسية في التاريخ هي مؤامرة لوتسي سيرغي كاتلين أو كاتيلينا للاستيلاء على السلطة الرومانية سنة ٦٢ ق. م.[٣] والأمر يعود إلى قبل هذا التاريخ بكثير.[٤]

لا بدَّ من الاعتبار أنَّ السياسة بمفهوماتها وتطبيقاتها الحديثة قد سلَّطت تيَّارات أخرى، أو لنقل: قد استغلَّت تيارات أخرى لتحقيق بعض أهدافها، ومنها الاستعمار والحروب وبعض حملات التنصير وبعض توجُّهات الاستشراق السياسي،[٥] وبعض الدعومات الاقتصادية المشروطة للدول النامية، وبعض الطروحات الثقافية والفكرية مما تداعى بين المفكِّرين بتسميته بالتغريب، أو ما يسمِّيه

(١) انظر: علي أدهم. مؤامرة كاتيلين. ـ العربي. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦١.

(٢) انظر: مؤسَّسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الموسوعة العربية العالمية. ـ مرجع سابق. ـ ٣: ٢٨٤.

(٣) انظر: غاي ساليوستي كريسب. مؤامرة كاتيلينا. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥.

(٤) انظر: محمد عبدالله عنان. تاريخ المؤامرات السياسية. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٠ ـ ٢٧.

(٥) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط / ترجمة شريف يونس. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م. ـ ٤٢٨ ص.

المتأخِّرون بالعولمة الثقافية في أحد مفهوماتها.(١)

يقول حسين الخشن: «إن من مفاعيل عقدة المؤامرة المتحكِّمة في ذهنيتنا، أننا نستغرق في قراءة نوايا الآخر أكثر مما نستغرق في قراءة واقعه وخططه وبرامجه، لأننا مسكونون بهاجس التآمر والخيانة، وهو ما يحجب عنا رؤية الواقع على حقيقته. إنَّ علينا في داخل واقعنا الإسلامي أنْ لا نتحرَّك على أساس الهواجس وعقدة الخيانة وأنْ لا نصدر الأحكام التكفيرية وفتاوى إباحة الدم على أساس النوايا والانطباعات الخاصة».(٢)

يضيف مصطفى الفقي قوله: «ولا يمكن أنْ نظلم العقل العربي على طول الخطِّ، فالظروف المحيطة به والأحداث التي جرت على أرضه أدَّت إلى تراكُمات هي التي صنعت العقدة التي نشعر بها ونعاني منها، وتدفعنا دائمًا إلى الشكِّ في كلِّ شيء، وتخوين كل فرد

(١) يرفض عبدالإله بلقزيز المصطلح "التغريب، ويخطِّئ من يستخدمه ليقصد به التقليد الرثَّ للغرب. ويقدِّم بديلًا عن التغريب مصطلح التغربُن ويُحدث هذا إشكالًا في الاستقرار على المصطلحات التي تحتاج دائمًا إلى تحرير وإيضاح. انظر: عبدالإله بلقزيز. العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين. ـ بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية، ٢٠٠٧م. ـ ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير. ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م. ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

والتوجُّس خيفةً أمام كلِّ جديد».[١]

يتبع هذا الهاجس من السياسة عدم الارتياح للخائضين في السياسة من الجانب التنفيذي، فبمجرَّد أنَّ ينشغل المرء أو يُشغل بالسياسة يتحوَّل إلى شخص فاسد لا خيرَ فيه ولا ضمير عنده ولا مشاعر ولا أحاسيس، يدخل أو يُقحم في معمعة المؤامرة، وقد يُجعل طرفًا فيها من خلال إسهاماته في «الخبث السياسي». بينما كان من قبلُ محظيًّا لدى فئة من الناس، وله تأثيره الفكري عليهم، ثم ينقلب الأمر فيُتَّهم هذا الشخص في ضميره وفي دينه وفي وطنيَّته وفي إخلاصه لمجرَّد أنَّه أُقحم في المشهد السياسي؛ رغبةً من الواثقين به في الإفادة من قدراته الذهنية في مجاله.

أدَّى هذا الموقف من السياسة إلى أنْ يبرز هاجس هو فيما يبدو مرضيٌّ أكثر من كونه قدرةً على التفكير. جاء هذا الهاجس من خلال تطليق السياسة طلاقًا بائنًا على غير تفاهُم أو تسريح بإحسان، فجعل رهطٌ من المهتمِّين من المفكِّرين من السياسة أساسًا للشرِّ وأنَّها لا تأتي بخير قطُّ، وأنَّ السياسة لا تعرف الأخلاق،[٢]

---

(١) انظر: مصطفى الفقي. العرب من نظرية المؤامرة إلى فكر الحريَّات. ـ صحيفة الحياة. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٥.

(٢) انظر: مصطفى الفقي. العرب من نظرية المؤامرة إلى فكر الحريَّات. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٦٣٨٤ (الثلاثاء ٥/ ٢/ ١٤٢٩هـ/ ١٢/ ٢/ ٢٠٠٨م). ـ ص ١٥.

ودعوا عليها بقولهم: «قاتل الله السياسة»، كما قال أحد الخطباء يومًا ما. وكلُّ خير يظهر منها إنما يكتنفه شُّر محضٌ، فتحوَّل الخير إلى شرٍّ بالنظر إلى مصدره لا بالنظر إلى طبيعته، وطفقوا يفتِّشون عن الدوافع، بل ربَّما توغَّلوا في المقاصد والنوايا.

❖ **المؤامرة والمجتمع:**

قليلاً ما يوظَّف مفهوم المؤامرة فيما هو نافع ومفيد للفرد والجماعة والأمم، ولا يلتفت إلى ذلك، وأنَّ هناك من يخطِّط °أو يتآمر° لإسعاد البشرية وتحقيق الرفاه الاجتماعي بحسب تفسير مفهوم الرفاه الاجتماعي وِفق كل ثقافة، وذلك من منطلق القواسم البشرية المشتركة بين بني آدم، وتعدُّد نقاط الالتقاء بينهم، بغضِّ النظر عن الفروقات الثقافية أو العرقية أو الجنسية أو أيِّ عامل آخر من عوامل الاختلاف.[١] كأنَّه يُنظر إلى هذا التوجُّه في إسعاد البشرية على أنَّه هو الأصل، ولذلك لا يحتاج إلى مؤامرة. ومن هنا يأتي استخدام المؤامرة في طرح مبالغ فيه ينبئ عن رغبة مطلقها

(١) على أنَّ هناك وجوه اتِّفاق بين الثقافات القائمة على كتب منزَّلة ورسل مبلِّغين. انظر: الفكر والإيمان. ـ ص ٢٢١ ـ ٢٢٤. ـ في: علي بن إبراهيم النملة. الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٩٠ ص.

أنَّه يريد إشعار المتلقِّي بإدراك الأبعاد الخفية لأيِّ نشاط مثير أو الغوص في فكره إلى ما وراء الواقع.

سرى مفهوم المؤامرة إلى الأبعاد الاجتماعية، بحيث يُعزى أيُّ انحلال اجتماعي حادث في أيِّ بيئة إلى أيادٍ خفية قد تُنسب إليها هذه التغيُّرات السلبية في المجتمع ومقوِّماته، ومنها المرأة.[١] ومن ذلك وضع المرأة والطفل واستخدامها سلعة وملهاة، واستقدام الشابَّات الصغيرات منهن من دول فقيرة من الغرب الأدنى «أوروبَّا الشرقية» أو من الشرق الأقصى، وتعريضهن لمواقف ذات علاقة بالشرف والعفَّة في المشاهد الإباحية التي تغري الكبار قبل المراهقين، مما يدخل في مفهوم المتاجرة بالبشر، أو مفهوم الرقيق الأبيض، وكأنَّ الرقَّ كان محصورًا على السود (الزنوج) من بني آدم القادمين أو المجلوبين من إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.[٢]

(١) انظر: محمد بن عبدالله الإمام. المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة. ـ صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ـ ٣٨٣ ص. وانظر أيضًا: السيِّد أحمد فرج. المؤامرة على المرأة المسلمة: تاريخ ووثائق. ـ ط ٣. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٣٨ ص.

(٢) تذكر تقارير مكتب المباحث الفدرالية الأمريكية في موقعها في الشبكة العالمية (الإنترنت) أنَّ نصف مليون (٥٠٠, ٠٠٠) امرأة تُشترى سنويًا من آسيا وأمريكا الجنوبية للعمل بأجور ـ متدنية دون تلك التي تحدِّدها اللوائح الرسمية. ذكر ذلك =

ربَّما يكون من الإنصاف في موضوع المرأة أنْ يكون سوء الاستغلال بهذه الصورة وصور أخرى غيرها قد تكون أشدَّ منها هي من قبيل المصادرة والتمييز والعنف ضدَّ المرأة والطفل، مما هو ممارس على مستوىً عالمي، لكنْ بصور مختلفة، ومن ثمَّ يظهر من يسعى إلى نقد الثوابت والمستقرِّات التي جاءت بشأن المرأة، سعيًا بوعي أو دون وعي إلى الإسهام في الحفر في الثوابت، ولو من منطلق نقد الثوابت،(١) والاحتجاج لها بما يقوم به بعض المنتمين لها من مبالغات فيها أو ربما غلو في تمثُّلها. والمعلوم عندنا أنَّ هذه الثوابت هي الحجَّة والمقياس على متمثِّليها وليس العكس.

لعل ما يعكس الحاجة إلى الإنصاف في موضوع المرأة عثور المرأة غير المسلمة على هذا الإنصاف في التطبيق الواضح للنظرة الإسلامية للمرأة، مما أظهر بوضوح إقبال النساء غير المسلمات إلى

= الكاتب عبدالله الناصر في زاويته الأسبوعية "بالفصيح" ـ بعنوان: جسد المرأة بين الحرِّية والمتعة. ـ صحيفة الرياض السعودية. ـ ع ١٤٣٩٦ (الجمعة ١٣/ ١١/ ١٤٢٨هـ ـ ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٧م). ـ ص ٤٤. وعلى أي حال فإنَّ المتاجرة بالبشر موضوع يخرج عن هذا الموضوع وإنْ كانت العلاقة بينهما قوية. (الرجوع إلى موقع المكتب).

(١) سعى رجاء بن سلامة إلى التركيز على هذا الجانب مستلهمًا موقفه السلبي من بعض الفتاوى الفضائية وإسهامات بعض الوعَّاظ والدعاة الفضائيين التي تفتقر إلى الحكمة في الطرح. انظر: رجاء بن سلامة. نقد الثوابت: آراء في العنف والتمييز والمصادرة. ـ بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٥م. ـ ١٥٢ ص.

تأمُّل هذه النظرة، ومن ثمَّ دخول نساء من خلفيات ثقافية واجتماعية مختلفة في الإسلام، لاسيما في أوروبا وامريكا،(١) بالإضافة إلى من خالطن نساء مسلمات وعملن معهن أو لهن.

استهداف المرأة والطفل والإنسان بعمومه جزء من مؤامرة اجتماعية ينقاد لها رهط ممن أعجبتهم نداءات حقوق الإنسان ذات النبرة المغرية عاطفيًّا القائمة على ردود الأفعال لحالات تحصل فيها إساءات للمرأة والطفل ومن ثمَّ الإنسان. ذلك أنَّ هذه المرأة التي تقع تحت طائلة العنف والمصادرة والتمييز لن تستطيع أنْ تنشئ بعقدها النفسية والاجتماعية جيلاً مستقيمًا يعمر الكون ويحقِّق مفهوم الاستخلاف على الأرض. ويصدق هذا على الأطفال الذين يتعرَّضون للعنف والتمييز والمصادرة. مثل هذا الموضوع المهم والحيوي لا يناقش باستحضار عاطفي مبني على ردود أفعال لأطروحات متشدِّدة لا تقوم على علم مصحوب بالفقه.(٢) ولعل هذا الاستحضار هو في

(١) انظر: دونا جيرك وايت. ما وراء الحجاب: الحياة غير العادية للمسلمات في المجتمع الأمريكي. ـ نيو يورك: راندوم هاوس، ٢٠٠٧م. ـ ٢٩٩ص. Donna Gehrke-White. The Faces behind the Veil.- New York: Random House، ٢٠٠٧.- p٢٩٩..

(٢) تستحضر هنا حكمة بالغة قالها الإمام سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ إمام الحفَّاظ، الكوفي المجتهد (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م): «إنَّما العلمُ عندنا الرُّخصةُ من ثقةٍ، فأمَّا =

حدٍّ ذاته تمييز ومصادرة وعنف في حقِّ المرأة.

ويدخل في العنف والتمييز والمصادرة استخدام المرأة في الدعاية للمواد الاستهلاكية والخدمات ودفعها إلى تبنِّي قضايا اجتماعية هي في ظاهرها مطلوبة، ولكنها من حيث انطلاقُها ومن حيث غاياتها تسعى إلى التصادُم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وفي المكتبة العالمية جمع من الدراسات حول استخدام الجنس في الدعاية والإعلان. يتساءل الغيورون من بني آدم بغضِّ النظر عن خلفياتهم الثقافية: مَن وراء هذا الأسلوب في امتهان المرأة؟

على أنه ليس من الحفر في الثوابت الاستمرار في المطالبة برفع التمييز والإقصاء والعنف عن المرأة والطفل والإنسان من منطلقات ثقافية ثابتة الأصول في النظر إلى المرأة والطفل والإنسان والبيئة، بحيث لا توضع هذه الثقافة الربانية في قفص الاتِّهام بسبب من تجاوزات بعض الأفراد أو بعض المجتمعات التي لم تدرك كنه هذه الثقافة؛ لما أصاب هذه المجتمعات من جمود فكري وعقلي وصمم ثقافي للطروحات

= التشديد فيُحسنه كلُّ أحد». ذكره النووي في: المجموع: (١/ ٨٠)، والخطيب البغدادي في: الفقيه والمتفقِّه، والموسوعة الفقهية الكويتية: (١٤/ ٢٤٥). وعن الشاطبي (ت ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م) في الموافقات (١٣٣ :٢): «النهي عن التشديد شهيرٌ في الشريعة بحيث صار أصلاً قطعيًا».

الثقافية الأخرى فعمدت إلى الإقصاء والاستعلاء الثقافي اللذين حالا دون الإصغاء المتبادل بين الثقافات مع إمكانية الاختلاف معها، على اعتبار أنَّ الاعتراف بحقِّ الاختلاف يُعدُّ حقًّا من أسمى حقوق الإنسان.[1] من منطلق أنَّ «كرامة الإنسان وحقوقه أمرٌ لازمٌ وثابتٌ له قد ينطلق من معتقد ديني أو نصٍّ قانوني أو موقف إنساني، لكن حقوق الإنسان تبقى في النهاية أمرٌ لا بُدَّ من سعي الأفراد والدول والمنظَّمات الدولية والجمعيات والمؤسَّسات المدنية للدفاع عن هذه الحقوق والمحافظة عليها».[2]

(١) انظر: عبدالإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟. ـ في: العرب والعولمة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظَّمها مركز دراسات الوحدة العربية. ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ـ ١٩٩٨. ـ ص ٣١٨.

(٢) انظر: سعيد حارب المهيري. حقوق الإنسان في العلاقات الدولية الإسلامية. ـ الاجتهاد. ـ ع ٥٢ و٥٣ (خريف وشتاء العام ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م/ ١٤٢٢هـ). ـ ص ١٣٣ ـ ١٨٥.

الوقفة الثالثة

المؤامرة والصهيونية

لا يكاد يمرُّ نقاشٌ عن المؤامرة من منطلق الاعتراف بوجودها على الواقع دون تهوين ولا تهويل إلا وتُستحضر تيَّارات مثل الصهيونية بمفهومها الاحتلالي،(١) والماسونية بما تكتنفه من سرية وخفاء وغموض،(٢) تلك الحركة المتحالِفة مع الصهيونية الاحتلالية،(٣) أو البهائية أو الغلو والتطرُّف، ويُدخل معه

---

(١) ينبِّه عبدالوهَّاب المسيري، رحمه الله، إلى ضرورة العناية بالمصطلحات التي سرت في القاموس العربي مسرى القبول نقلاً عن القاموس الغربي. ويفضِّل تقييد الصهيونية بوصف الاستعمار أو الاستيلاء، مع أنَّ مصطلح الاستعمار الذي شاع لا يلبِّي المفهوم الصحيح. انظر: عبدالوهَّاب المسيري. الصهيونية وتأثيرها في علاقة بين الإسلام بالغرب. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣ ـ ٧.

(٢) انظر: منصور عبدالحكيم. مؤامرات وحروب غيَّرت العالم صنعتها الماسونية للسيطرة على العالم. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٣٦٧ ص. ـ (سلسلة حكومة العالم الخفية؛ ٦).

(٣) تحفَل المكتبة العربية بتعرية الماسونية. ويحمِّل كتَّابٌ عرب وغير عرب الماسونيةَ ما وصلت إليه اليهودية وغيرها من الملل والنحل التي انحرفت عن الطريق القويم. وإذا ما ذُكرت المؤامرة قفز الذهن إلى الأيادي الماسونية وربما بصورة مبالغ فيها. انظر: محمد عبدالحميد الكفري. العلاقات السرية بين اليهودية والماسونية والصهيونية. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ٢٣٩ ص. وفي الملحق قائمة وراقية "ببليوجرافية" عربية محدَّثة لما تيسَّر رصده من كتب عن الماسونية.

الإرهاب الفكري، وكلّ مسار فكري يعتمد السرّية والمراتب الهرمية في تنظيمه والطلاسم في تعليماته والغموض في وظيفته وأهدافه، ويركّز على التبعية المطلقة دون إدراك من التابعين، ودون إعمال للفكر، وربّما دون اقتناع تامٍّ منهم بهذا التوجُّه، على اعتبار أنّهم رعاع لا يدركون هذه الأسرار التي يجب أنْ تُحاط بالكتمان، وأنْ يكون لها قياداتها الهرمية التي تتحكَّم بالتنظيم وتتحكَّم من ثمَّ بالأتباع، وتحرص على مشاركتهم ممتلكاتهم،[1] واستئثار مجموعة منتقاة من قياداته في الاطِّلاع على تنظيماته وأسراره وخفاياه وحقيقة وجوده والغرض منه، مما يدخل ضمنًا في مفهوم الإرهاب الفكري.

إنْ أُدرج الإرهاب الفكري ضمن هذه «التيارات» فذلك للشبه في الأهداف والمفهوم وطُرُق التنفيذ، إلا أنَّه ينبغي أنْ ينظر للإرهاب على أنّه نتيجة لبعض هذه الممارسات أو وسيلة من وسائل نشرها، وليس محفِّزًا لها، بحيث أُعطيت هذه التيَّارات قوَّة تفوق القوَّة التي تتَّصف بها وهي دون شكٍّ تتَّصف بقوَّة ما، وتُعقد مقارناتٌ أو

---

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. الجمعيات السريَّة: البروتوكولات، الماسونية، البهائية. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٣م. ـ ٢٧٤ ص. ـ (سلسلة: كتاب الهلال؛ ٥١٥). وانظر له أيضًا: اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. ـ ٣٢٨ ص. ـ (مشروع مكتبة الأسرة).

مقارباتٌ بينها وأنَّ بعضها منبثقٌ عن الآخر أو مشتقٌّ منه.(١)

يؤيِّد كون الإرهاب الفكري وسيلةً من وسائل نشر المؤامرة ما يُذكر من أنَّ هناك عناصر تتسلَّل في أوساط جماعات يغلب عليها الزهد والورع وإيثار الآخرة وتغليب العبادات التوقيفية، فتدخل معها على أنها منها، ثم تجرُّها رويدًا رويدًا إلى الغلو والتطرُّف الذي يوصلها إلى إسقاط التكاليف، بحجَّة وصولهم إلى اليقين وبقاء التكاليف للعامة، بل ربما دعا هذا الغلو إلى تعمُّد المعاصي والآثام وارتكاب الفواحش؛ لأنها تقود إلى التضرُّع إلى الله تعالى والاستغفار وطلب التوبة.(٢)

ويشبه هذا المنهج ما نهجه غريغوري راسبوتين (١٢٧٦ـ ١٣٤٤هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٩١٦م) الذي ادّعى الزهد والورع والإلهام والقدرات الخارقة، وكان من أسباب اتّكال القيصرية على الخرافة والعرافة والسحر والشعوذة فأقلق القيصرية في نهاية عهدها، حتى سقطت سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٧م، بقيام الثورة البلشفية، وانتهاج

---

(١) انظر: علي بن إبراهيم النملة. فكر التصدِّي للإرهاب: مراجعات في المفهوم والأسباب والهوية والأوزار. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١١٣ ص. ـ (سلسلة موقف الإسلام من الإرهاب؛ ١).

(٢) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٍ؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٣١ .

الشيوعية منهاجًا للحياة.[١] على أنَّ هناك من يرى أنَّ راسبوتين لم يتآمر على القيصرية، ولكنها هي التي تآمرت عليه وشوَّهت سمعته.[٢]

تتسلَّل المؤامرة في أوساط المنظَّمات المشروعة المقاوِمة للاحتلال وتقنعها على اتِّباع الأسلوب الإرهابي في التعبير عن مطالبتها بحقوقها لصرف الرأي العام عنها، ومن ثمَّ تأييد ما قامت هي لمقاومته. يتجلَّى ذلك في بعض منظَّمات المقاومة الفلسطينية التي وقعت ضحيَّةً لهذه المؤامرة، فقام أفراد منها بتفجير مواقع مدنية لا علاقةَ مباشرةً لها بالمحتلِّ، ودخلت معها عناصر مشبوهة، وحال ماركوس وولف الاستخباري الألماني واضح في هذا المقام، حيث أسهم في تشويه السمعة العربية وكرَّه العالم بالقضية الفلسطينية، وانتهى به المقام مكرَّمًا في فلسطين المحتلَّة، ومُنح الجنسية الإسرائيلية.[٣]

---

(١) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٍ؟. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٢٧ ـ ١٣٠.

(٢) انظر: مؤامرات ضدَّ راسبوتين. ـ ص ١٩٧ ـ ٢١٢. ـ في: كولن ويلسون. راسبوتين/ ترجمة خليل حنَّا تادرُس. ـ القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٠ ص.

(٣) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٍ؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٠٩ ـ ١١١.

هناك من سعى إلى رصد المؤامرات اليهودية منذ فجر تاريخ اليهود،[١] مرورًا بأحداث «محلية» في بيئات نشأ فيها اليهود، مثل القول بأنَّ اليهود كانوا وراء حملات الفرنجة (الحروب الصليبية)،[٢] ومثل مؤامرة الأطباء لسنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م عندما قام الحزب الشيوعي بالاتِّحاد السوفييتي السابق بعملية تطهير لتسعة أطباء بارزين، معظمهم من اليهود كانوا قد اتُّهموا بالتآمر على قتل شخصيات سوفييتية بارزة ومنهم ستالين، وأنهم كانوا يتلقَّون الأوامر من المخابرات الغربية.[٣]

يتحمَّل اليهود، لاسيَّما الصهيونية الاحتلالية ، القسط الأكبر من مفهوم المؤامرة، فهم ـ بحكم تنشئتهم لا بحكم فطرتهم ـ نزَّاعون إلى المكر والكيد والشرِّ والرغبة في التدمير. يؤيد هذا التوجّه المفكر الإسلامي مصطفى الفقي بقوله: «إنَّ الدولة العبرية.. هي

---

(١) انظر: سعيد محمد أحمد باناجة. نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية وأصل الثورات والحروب الأهلية والعالمية والأزمات الاقتصادية والسياسية والتكتُّلات الحزبية المادِّية اليسارية واليمينية. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ١٥٨ ص.

(٢) انظر: سعيد محمد أحمد باناجة. نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية. ـ المرجع السابق. ـ ١٥٨ ص ٣١ ـ ٣٢.

(٣) انظر: ماجد نعمة، وآخرون، محررون. موسوعة السياسة. ـ ٧ مج. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م. ـ ٦: ٣٧٢.

الخبيرة الأولى في حياكة المؤامرات وصوغ الاضطرابات والخروج عن الأعراف وانتهاك الحرمات. لذلك كان طبيعيًا أنْ يعشِّش في العقل العربي فكر المؤامرة على هذا النحو».(١)

يحيل كثير من الكتَّاب والمفكِّرين الوضع العربي المتردِّي إلى بروز التآمر اليهودي الغربي الذي يعدُّ امتدادًا للتآمُر الاستعماري على العالم العربي والإسلامي. «ونادرًا ما حظيت المكتبة العربية بكتاب موضوعي يبيِّن أنَّ الخلل الذي تعاني منه الأمَّة العربية في مختلف مجالات العمل السياسي والاجتماعي هو السبب الرئيس في حصول الهزائم والنكسات».(٢) لا يبرئ هذا الطرح أثر الاستعمار والصهيونية، ولكنه يضع هذا الأثر في خانته المناسبة من خريطة تلمُّس الأسباب لهذا الوضع المتردِّي.(٣)

يقول صخر أبو فخر: «من أعظم المصائب على «العقل العربي» أنْ يكون بعض المشتغلين بقضايا الفكر والتفكير أوَّلَ من يتنكَّر

(١) انظر: مصطفى الفقي. العرب من نظرية المؤامرة إلى فكر الحريَّات. ـ صحيفة الحياة. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٥.

(٢) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) انظر: ـ محمد زكي الدين القاسم. الإسلام والمؤامرات اليهودية. ـ الكويت: مكتبة المنار، ١٩٩٠م.

للعمل وللحقيقة، فقد اطمأنَّ بعض هؤلاء إلى ما لديهم من بدهيَّات، وإلى ما هم عليه من استقرار، فسكنوا إلى معارفهم الموروثة، وقعدوا عن البحث والتدقيق والتحقيق، وانفلتوا عن المعرفة والتبصُّر، إلى يقين زائف، وهجعوا إلى نوع من الكسل العجيب، حينما كان الأمر دراسة اليهود واليهودية والصهيونية وإسرائيل».(١)

يقول عبدالوهَّاب المسيري في معرض نفيه لمفهوم المؤامرة لدى اليهود تحديدًا، وأنَّها وهم من أوهام خمسة أُلصقت بهم: إنَّهم أُلبسوا ذلك بحكم أنَّه وجد في «عقولهم بالفطرة وهي بعد أساسي وثابت في طبيعتهم، وسلوكهم تعبير عن مخطَّط جبَّار وضعه العقل اليهودي الذي يخطِّط ويدبِّر منذ بداية التاريخ».(٢)

ولا يُفطَر الإنسان على هذه الصفات وإنما يكتسبها من الثقافة وأسلوب التنشئة التي يتبنَّاها محيطه، فكلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما هو منطوق الحديث النبوي الشريف، ففي الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة

---

(١) انظر: صخر أبو فخر، عرض. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد. ـ الاجتهاد. ـ ع ٤٩ (شتاء ٢٠٠١م/ ١٤٢١ـ ١٤٢٢هـ). ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٨٠. والنصُّ من ص ٢٤٩.

(٢) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ـ ٢ مج. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م. ـ ١: ١٥٦ ـ ١٥٨.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسُّون فيها من جدعاء؟). والفطرة هنا هي الإسلام.(١)

ويرى هذا الباحث المتضلِّع في الشأن اليهودي عبدالوهَّاب المسيري أنَّ هذا التصوُّر لا يخلو من سذاجة وتبسيط، وأنَّه أضفى على الكيان الصهيوني، لا في فلسطين المحتلَّة فحسب بل على مستوىً عالمي، هالةً من القوَّة ليست لها، ومن الرهبة منها ما لا تستحقُّه، فجعلها هذا الموقف تكسب معارك سياسية وحربية لم تخضها قطُّ،(٢) فأضحت المؤامرة كالصهيونية الاحتلالية أعطت قومًا شأنًا لا يتَّصفون به بالضرورة، بل إنَّ الرعب وقلَّة الاستقرار وضعف الأمان يسيطر عليهم أينما حلُّوا أو رحلوا.(٣) وهذا الشعور يزيد من لُحمتهم وتشبُّثهم بفكرة التجمُّع في مكان واحد، كان من نصيب فلسطين

---

(١) انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ـ ١٣ مج. ـ رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب. ـ بيروت: دار المعرفة، د. ت. ـ ٨:٥١٢. ـ حديث رقم ٤٧٧٥ في كتاب القدر، وانظر الحديث بلفظ آخر في كتاب الجنائز في ٣:٣٤٦.

(٢) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ـ مرجع سابق. ـ ١:١٥٦ ـ ١٥٨.

(٣) انظر: صخر أبو فخر، عرض. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد. ـ الاجتهاد. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٨٠.

المحتلَّة إثر قرار المؤتمر الصهيوني في بازل لسنة ١٨٩٨م.

هكذا تسير بعض الأمور في هذه الحياة، عندما يُعطى شأنٌ ما أكثر من قيمته الحقيقية التي يتمتَّع بها فعلاً، فيضحي الوهم حقيقة، وتنبني عليه إجراءات وخطط ومواقف وأفكار ومقدِّمات ونتائج، مبنية على باطل لا على حقيقة، وما بُني على باطل فهو باطل. ويعزى إليه ما يمكن أنْ يدخل في مفهوم التخاذُل والهزيمة من الداخل والبحث عن قوَّة خارجية يعلَّق عليها الفشل والتخاذُل، وهذه من عوالق مفهوم المؤامرة.

يقول عبدالوهَّاب المسيري: «يميل العقل الإنساني، إنْ لم يجد نموذجًا تفسيريًّا ملائمًا لواقعة ما، إلى ردِّها إلى أيدٍ أو أيادٍ خفية تنسب إليها التغييرات والأحداث كافَّةً. فالأحداث ـ حسب هذا المنظور ـ ليست نتيجة تفاعُل بين مركَّب من الظروف والمصالح والتطلُّعات والعناصر المعروفة والمجهولة من جهة وإرادة إنسانية من جهة أخرى، وإنما هي نتاج عقل واحد وضع مخطَّطًا جبَّارًا وصاغ الواقع حسب هواه، وهو ما يعني أنَّ بقية البشر إنْ هم إلا أدوات».[1]

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ـ مرجع سابق. ـ ١: ١٥٦ ـ ١٥٨.

الوقفة الرابعة

توظيف مفهوم المؤامرة

هناك أمثلة كثيرة يُستحضر فيها مفهوم المؤامرة، وكتبت فيها الكتب والمقالات العلمية، ناهيك عن الطرح الإعلامي لبعض القضايا التي لا يظهر لحدوثها تفسير واضح أو مقبول. تتراوح هذه الأمثلة بين العمق في التأثير على العالم إلى منتهى السطحية في التأثير؛ من مثل ما هو مشتهر بين البريطانيين مما سموه بمؤامرة البارود ومؤامرة شارع كاتو،[١] ومؤامرة صعود الإنسان إلى القمر، واغتيال الرئيس الأمريكي جون كيندي واغتيال قاتله مباشرة،[٢] مما أدَّى إلى عواقب لم يُحسب لها حسابًا،[٣] واغتيال القس مارتن لوثر كينج وموت قاتله في السجن، والزعم بوفاة المغني البريطاني

(١) انظر: مؤسَّسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الموسوعة العربية العالمية. مرجع سابق. ـ ٢٢: ٣٠.

(٢) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦م. ـ ص ٦٤.

(٣) انظر: نبيه الأصفهاني، عارض. المؤامرة أو أمريكا تحترق. ـ السياسة الدولية. ـ ع ١٧ (يوليو ١٩٦٩م). ـ ص ١٦٥ ـ ١٦٩. والعرض لكتاب المؤامرة لجيمس هيبرن. ويدور الكتاب حول نظرية المؤامرة في اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي في دالاس بولاية تكساس في يوم الجمعة ١٣٨٣/٧/٥هـ الموافق ١٩٦٣/١١/٢٢م.

بول مكارتني سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م والاستعاضة عنه بوجود مماثل له في فرقة الخنافس، وتصدير عدد من الأمراض القاتلة مثل مرض نقص المناعة «الأيدز» إلى شعوب العالم الثالث عن طريق الإرساليات التنصيرية، وذلك لقتل أكبر عدد ممكن من صعاليك العالم، كما يقول الخبير الأمريكي وليام كوبر، حيث يصاب أكثر من ثلاثين مليون (٣٠,٠٠٠,٠٠٠) شخص بهذا المرض في إفريقيا وحدها.(١) ومثل تصدير التبغ، حيث إنَّ ٨٢٪ من المدخِّنين من الدول النامية.(٢) ومقتل الأميرة ديانا أميرة ويلز مع عماد محمد الفايد في حادث نفق ألما للسيارات في العاصمة الفرنسية باريس مساء السبت ليلة الأحد ٢٥/ ٤/ ١٤١٧هـ الموافق ٣٠/ ٨/ ١٩٩٧م.

ومنها النظام العالمي الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة، وأفول الاتِّحاد السوفييتي مطلع العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، العقد العاشر من القرن العشرين الميلادي، وهيمنة اليهود على العالم، وزعمهم قتل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وصلبهم

---

(١) انظر: جيسيكا ويليامز. خمسون حقيقة ينبغي أنْ تغيِّر العالم. ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ص ٢١٨ ـ ٢٢٥. ولا يزال الحديث عن العلاج يطغى عن الحديث عن الوقاية والتثقيف والتوعية.

(٢) انظر: جيسيكا ويليامز. خمسون حقيقة ينبغي أنْ تغيِّر العالم. ـ المرجع السابق. ـ ص ـ ١٩٨ ـ ٢٠٣.

له، وتسميمهم للآبار وقتلهم الأطفال النصارى ليعملوا منهم الماتزو، والمؤامرة وراء تضخيم المذبحة «الهولوكوست» في الحرب العالمية الثانية، والسعي إلى تكذيب التهويل من الحادثة، أو تكذيبها ابتداءً، في الوقت الذي يتذرَّع اليهود فيه بالدفاع عن السامية واتِّهام الآخرين بالعداء لها حتى من المنتمين لها من غير اليهود.

نشوء بروتوكولات حكماء صهيون،[١] التي يجزم بعض المفكِّرين بصحَّتها إلى حدِّ الاستغراب ممَّن ينفونها أو يشكِّكون بها «وإنْ زعم الزاعمون من اليهود وغيرهم أنها أفكار صبيانية حمقاء لا يمكن تحقُّقها على أرض الواقع».[٢] بينما يشكِّك آخرون في صحَّتها إلى حدِّ الاستغراب ممَّن يسعون إلى إثباتها.[٣] إنَّ «من عجائب هذه البروتوكولات أنَّها لم تكن باللغة العبرية رغم كونها لغة التوراة والتلمود. كما أنَّها تجعل اليهود مسئولين عن الشيء ونقيضه في ذات

(١) انظر: عجاج نويهض. بروتوكولات حكماء صهيون: نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية. ـ ط ٣. ـ بيروت: دار الاستقلال، ١٩٩٠م. ـ ٦٤٤ ص.

(٢) انظر: أحمد جاد، مراجع ومقدِّم. بروتوكولات حكماء صهيون. ـ المنصورة: دار الغد الجديد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ص ٥ ـ ١٢.

(٣) يَعُدُّ طارق فوزي المؤامرة البروتوكولَ الخامسَ والعشرين من بروتوكولات حكماء صهيون. انظر: طارق فوزي. المؤامرة: البروتوكول الخامس والعشرون من بروتوكولات حكماء صهيون. ـ المنيا: دار الأحمدي للنشر، ٢٠٠٦م. ـ ٢٧٢ ص.

الوقت لاسيَّما الأفكار المتناقضة. علاوةً على ما احتوته من شتائم اليهود لأنفسهم، مع أنَّه لا يتصوَّر أيُّ عاقل أنْ يتطوَّع كبار رجال الدين ـ أيِّ دين ـ بإلصاق أبشع الشتائم بأنفسهم، بل ويوثِّقونها توثيقًا تاريخيًا».[١] كما يقول ناجح إبراهيم عبدالله في موافقة له لرأي الدكتور عبدالوهَّاب المسيري، والأخير من الباحثين المدقِّقين في التاريخ اليهودي الذين شكَّكوا في صحَّة البروتوكولات. وربَّما رأى الفريقان كلٌّ على حدة أنَّ نفي البروتوكولات ربما يكون جزءً من المؤامرة، أو أنَّ إثباتها لا يقلُّ عن ذلك، ولكلٍّ مبرِّراته العقلية والمادِّية.[٢]

على أنَّ شتم رجال الدين لذواتهم لا يرقى إلى أنْ يكون حجَّةً على عدم صحَّة هذه البروتوكولات؛ إذ شاع بين بعض رجال الدين نزوعهم إلى جلد الذات والتهوين من قدراتها في التغيير

(١) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني/ راجعه كرم محمد زهدي وآخرون.ـ القاهرة: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٤م.ـ ص ٨٠ـ ٩١.

(٩٦) لا أظن أنَّ المؤلف الطبيب ناجح إبراهيم عبدالله السيِّد يمانع في الذكر بأنه كان أحد أفراد الجماعة الإسلامية التي اتُّهمت بالضلوع في قضية تنظيم الجهاد، وكان يمارس دور مفكِّر الجماعة، ولكنه رجع عن أفكاره، وطفق يكتب عن الاعتدال في الإسلام. انظر ما كتبه عنه وعن زملائه: مكرم محمد أحمد. مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرُّف في سجن العقرب.ـ ط ٢.ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ٢٤٠ ص.

والارتقاء بالمجتمعات إلى سموّ الفضيلة وزرع الثقة في القدرة على القيادة وتخليص البشر من الشرور. يتجلَّى ذلك في بعض المناسبات الدينية الحادثة التي يبرز فيها شعور بعض رجال الدين بخذلان رموز دينية سابقة، فيجلدون ذواتهم حسًّا ومعنىً. والجلد المعنوي أشدُّ وأنكى من الجلد الحسي.

لا يُنسى في هذا المقام العدوان الثلاثي على مصر يوم الاثنين ٢٤/ ٣/ ١٣٧٦هـ ـ ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م الذي قادته تواطؤًا بينها كل من بريطانيا وفرنسا ودولة اليهود في فلسطين المحتلَّة، على إثر تأميم قناة السويس، واستخدام عوائد العبور منها في بناء السد العالي بأسوان الذي تخلَّت بريطانيا عن دعمه لأسباب سياسية وفكرية بعد قيام ثورة «الضبَّاط الأحرار» في يوم الأربعاء ١/ ١١/ ١٣٧١هـ الموافق ٢٣/ ٧/ ١٩٥٢م.

لم يكن هذا العدوان مقصودًا به مصر وحدها، بل إنَّ هناك من يرى أنها حلقة في مسلسل العلاقة بين الشرق والغرب من منطلق هيمنة طرف على آخر.[١] «ولكن هذه المؤامرة التي تذكِّر

(١) انظر: عبدالحميد يونس. المؤامرة الثلاثية الكبرى. ـ ص ١١٧ ـ ١٣٤. ـ في: طه حسين وآخرون. العدوان الثلاثي على مصر. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦م. ـ ١٧٦ ص.

بالأيام الخوالي حين كانت القوى الاستعمارية تستطيع استخدام قوتها العسكرية المتفوّقة في إملاء إرادتها، فشلت بسبب معارضة الولايات المتحدة والسوفييت».[١] وفشل العدوان بسبب المعارضة لا يمثّل مبدأً أمميًّا، ولكنه يمثّل حلقة من صراع القوى، بدليل توالي العدوانات على المنطقة بحجج البحث عن أسلحة الدمار الشامل، أو ملاحقة حاضنات الإرهاب!

ولا تخرج إيران من هذا الهاجس منذ إسقاط حكومة مصدّق في شوال ١٣٧١هـ ـ يوليو/ تموز من سنة ١٩٥٢م، وما حِيكَ حولها من مؤامرات على مستوىً عالٍ، دخلت فيها عناصر إيرانية من الجيش ومن رجال الأعمال، لكنها باءت بالفشل. واستمرَّ هذا الهاجس إلى يومنا هذا، لاسيَّما مع تغيير الثورة الإيرانية مجرى تاريخ المنطقة عمومًا منذ سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.[٢]

(١) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) انظر في الشأن الإيراني: بونداريفسكي. الغرب ضدَّ العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٦٩ ـ ٣٦١.

❖ المؤامرة و ١١ سبتمبر:

ما حصل صباح يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٢٢هـ الموافق الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في كل من واشنطون العاصمة ونيويورك بالولايات المتَّحدة الأمريكية ومكان ناءٍ من ولاية بنسلفانيا القريبة من نيويورك وواشنطن، يعَدُّ أحدَ الأمثلة الحيَّة القريبة التي دارت حول دوافعها الشكوك، واختلفت الرؤى من مسلِّم بالرواية الرسمية (مليون بالمئة! كما قيل ممن تنتظر منهم نظرة علمية موضوعية أكاديمية تبتعد عن المبالغة) إلى حدِّ الإدانة، فلقد أصبح يقينًا عند بعض العرب خاصةً أنَّ من قام بهذه الفعلة النكراء هم أساسًا من العرب.[1] مع أنَّ الرواية الرسمية استخدمت كلمة المشتبه بهم.

ومن نافٍ لها وأنَّها من فعل داخلي لتسويغ الانطلاق في سلسلة حروب تتحقَّق من خلالها هيمنة الطرف الواحد، مع ملاحظة ركوب موجة اتِّهام المستهدَفين بسعيهم إلى تطوير أسلحة الدمار الشامل لتمرير المفهوم وتوظيفه وإقناع الشعوب به، الأمر الذي لم تثبت صحَّته، ولكن انخدعت به بعض العقول المعزولة عن واقع

(١) انظر: محمد الرميحي. خطاب المؤامرة وتغييب العقل. ـ النهار. ـ (الثلاثاء ١٨/ ٦/ ٢٠٠٢م).

العالم اليوم وخفي عليها ، أو على تلك العقول التي لم تتخلَّص من التأثُّر الواضح بصحَّة الروايات الرسمية الصادرة عن حكومات متقدِّمة في إدارتها ومتحضِّرة في أدائها، بحيث لا يتصوَّر أنْ تنهج هذا النهج في الإضرار بذاتها. وبين الإدانة والاشتباه فرق لا يجلِّيه إلا خضوع هذا الحدث إلى تحكيم قانوني دولي مستقل.

ولعلَّ من آخر المشكِّكين في الرواية الرسمية ظهور وزيرة فرنسية سبق لها قبل أنْ تستوزر أنْ قالت إنَّ الإدارة الأمريكية وراء أحداث الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ/ الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.(١) وكذا قيل فيها إنَّها من تدبيرات الموساد لكي يسلِّط أمريكا على العالم الإسلامي.(٢) أو ما يشير إلى وجود علاقة ما محتملة بين الموساد وخاطفي الطائرات.(٣)

وقيل غير ذلك كثير مما يسعى إلى إيجاد تفسيرات أو مسوِّغات ترقى إلى مستوى الحدث أو تدور حوله، مما كان له أثرٌ غير عادي ، لا على المستوى المحلِّي فحسب بل على المستوى العالمي، وحيكت

---

(١) انظر: محمد إبراهيم بسيوني. المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي مَن بعد العراق؟. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م. ـ ١٨٤ ص.

(٢) انظر: محمد مورو. الشرق الأوسط الجديد: الشعوب في مواجهة أمريكا. ـ القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ٢٠٠٥م. ـ ٢٢٣ ص.

(٣) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٠.

حوله الاستنتاجات،[١] ومنها ما خرج به ماتياس بروكرز من أنَّ «كارثة ١١ أيلول/ سبتمبر ما كانت إلا مكيدة خُطِّط لها بكلِّ حذر ودقَّة»، وأنَّ إيمانه ما يزال يضعف يوماً إثر يوم بأنها كانت مجرَّد عملية إرهابية «طبيعية».[٢] يؤيِّده في هذا المنحى أندرياس فان بيلوف رئيس المحابرات الألمانية ووزير الدفاع الألماني السابق في كتابه: الـ سي آي أي C.I.A. و١١ أيلول ٢٠٠١: الإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات.[٣] ويذكر من المسوِّغات اثني عشر مؤيِّدًا لما ذهب إليه.[٤]

وقد تكوَّن تنظيم جديد من عدد من المهندسين والفيزيائيين الغربيين من أمريكيين وغيرهم يسعون إلى تحليل ما وقع ذلك اليوم من منطلق هندسي فيزيائي، بناء على فرضية تعذُّر تصدع البرجين

(١) انظر: ٩/ ١١ conspiracy theories.. ـ في: موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية. (٢٣/ ٤/ ١٤٢٩هـ ـ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٨م) واستعانت الموسوعة لهذا الموضوع الذي شغل ثلاثًا وستين صفحة بمئتين وثمانية وأربعين مرجعًا.

(٢) انظر: ماتياس بروكرز. المؤامرة ٩/ ١١: نظريات المؤامرة وأسرار ٩/ ١١. ـ مرجع سابق. ـ ص ٩.

(٣) انظر: ـ أندرياس فون بولوف. الـ سي آي أي C.I.A. و١١ أيلول ٢٠٠١: الإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات./ ترجمة عصام الخضراء وسليمان الخالدي. ـ دمشق: الأوائل، ٢٠٠٥م.

(٤) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٧ ـ ٤٠.

من الأعلى بالصورة والسرعة التي تصدَّعا وما حولهما من مبانٍ بها.

مما لابُدَّ من الوقوف عنده في هذا السياق هو إعطاء أجهزة الاستخبارات في كثير من الدول هالةً من القدرات الهائلة في حياكة المؤامرات تفوق قدراتها الحقيقية الموجودة التي تظهر في التدخُّلات في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، لكنها تخطَّت هذه الإمكانات بحيث تصل إلى اختراق الحكم المحلي في مؤسَّساته الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية، بما في ذلك المجالس البرلمانية. ولعلَّ هذه الأجهزة لا تمانع من إعطائها هذه الهالة من منطلق لم أردها ولم تسُئنِ. فجعلها هذا الموقف تكسب معارك سياسية ومعلوماتية لم تخضها قطُّ، قياسًا على رؤية الباحث عبدالوهاب المسيري في إعطاء الكيان الصهيوني مثل هذه الهالة.[1]

عودًا على الحدث فمما قيل في هذا الصدد أنه أريد منه أنْ يقود إلى حال من الضغط على المنطقة العربية بحيث يحدث انقسامات داخلية تجعل العالم العربي والإسلامي يعاني على مستوى الأفراد والحكومات بصورة واضحة من التفكُّك والانقسام، مما يبعث على وجود القابلية لترسيخ مفهوم الهيمنة الغربية، مرورًا بتقسيم المنطقة

(١) انظر: عبدالوهَّاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ـ مرجع سابق. ـ ١: ١٥٦ ـ ١٥٨.

تحت منظومة الشرق الأوسط الكبير.[١] الذي يُنظر إليه على أنه مؤامرة أمريكية ضدَّ العرب، ومن ثمَّ ضدَّ المسلمين،[٢] على اعتبار أنَّ «الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين يقوم على دمج بلدان أخرى ومنظَّمات داخل حلول توافقية تسمح بارتقاء عالم ينسجم مع المصالح والقيم الأمريكية»[٣] ففي الوقت الذي يوصف فيه المحيط العربي والإسلامي بالتخلُّف تأتي هذه العملية المتقدِّمة في التفكير والتخطيط والتنفيذ من هذه الفئة المتخلِّفة في تفكيرها وتخطيطها وتنفيذها.[٤]

الذين يبحثون عن مؤيِّدات للرواية الرسمية سيجدونها، كما أنَّ الذين يتلمَّسون إلصاق التهمة بالمؤامرة التي حيكت وألصقت بالعرب سيجدون مؤيِّدات لها. وقد حصرت بعض المواقع الإلكترونية الدلائل الثمانية الأولى التي تؤيِّد مفهوم المؤامرة لهذا الحدث

---

(١) انظر: سعيد اللاوندي. الشرق الأوسط الكبير: مؤامرة أمريكية ضدَّ العرب. ـ ط ٢. ـ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٥م. ـ ٢٩٨ ص.

(٢) انظر: سعيد اللاوندي. الشرق الأوسط الكبير: مؤامرة أمريكية ضدَّ العرب. ـ المرجع السابق. ـ ٢٩٨ ص.

(٣) انظر: أوليفييه روا. أوهام ١١ أيلول: المناظرة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣. ـ ص ١٠٨.

(٤) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٣ ـ ٤١.

المُريع، ومنها أنَّ الإدارة الأمريكية كانت على علم مسبق باحتمالية الهجوم، ومنها أنَّ تدمير البُرجين كان عن طريق التحكُّم عن بُعد، ومنها أنَّ الطائرتين اللتين ضربتا البُرجين كانتا تحت تأثير التوجيه بتقنية متطوِّرة معروفة باسم «جلوبال هوك»، تملكها البنتاجون وقد جرى تطويرها،[١] ومنها أنَّ أربعة آلاف وخمس مئة (٤٥٠٠) يهودي لم يعملوا ذلك الصباح في البُرجين وما حولهما،[٢] ومنها أنَّ وزارة الدفاع ضُربت بصاروخ ولم تسقط عليها طائرة. ومنها أنَّ تنظيم القاعدة ليس مسؤولاً عن الهجوم.[٣]

ومنها أنَّ خطَّة ضرب البُرجين مستوحاة من خطَّة سابقة لضرب ساحل فلوريدا تسمَّى خطة «نورث وودز» التي صُمِّمت سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م يُقتل فيها مواطنون، وتُسقط طائرة،

(١) انظر: محمد إبراهيم بسيوني. المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي مَن بعد العراق؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٠.

(٢) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤١.

(٣) يبدو أنَّ موضوع المؤامرة يصاحب أحداث ١١/ ٩/ ٢٠٠١م إلى حين، وتظهر الكتب متتابعة إلى اليوم. ولعل من آخرها عند تحرير هذا البحث Begin، Jeremy Griffin، David، .(2007). Fighting for G.O.D. (Gold، Oil، and Drugs). Trine Day Press Ray (2007). Debunking 9/11 Debunking: An Answer to Popular Mechanics and Other Defenders of the Official Conspiracy Theory.. Olive Branch Press. ولديفيد راي قريفيث ثلاثة كتب أخرى قبل هذا. ـ

وتُغرق سفينة، ويُلصق الأمر بالكوبيين. كما يقول كيم بريدسون في مقالة له عنوانها: هل كان ٩/ ١١ عملًا داخليًّا؟[١] وترجمتها بتول عبدالحقِّ ونُشرت في الإنترنت في ١٨/ ٨/ ١٤٢٧هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠٦م. ومنها وجود جواز السفر العربي لأحد المتَّهمين لم يُصب بأذى في الوقت الذي ذابت فيه أطنان الفولاذ التي اتّكأت عليها البنايات المنهارة.

نشأ عن هذا التوجُّه الانطباع بأنَّ الولايات المتَّحدة الأمريكية تحتضن هذا الهاجس، حتى لقد قيل إنها موطن منظِّري المؤامرة the home of conspiracy theorists، وأنَّ لنظرية المؤامرة سلسلةَ نسب طويلة في الولايات المتَّحدة.[٢]

إنَّ استحضار بعض الحوادث يستدعي الإدراك بأنَّ شيئًا ما يُصاغ على شكل خطَّة أو إستراتيجية أو توجُّه عام، وأنَّ ما يحدث الآن إنما هو تحقيق لمتطلَّب تقف وراءه الصهيونية الاحتلالية، وربما أطلق عليه «خطَّة القرن الأمريكي الجديد». وأنَّ هناك خطَّة وضعت في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري التسعينات من القرن العشرين الميلادي للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط

(١) يعبِّر الأمريكيون في تأريخهم بالشهر قبل اليوم.

(٢) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٣.

لمصلحة الكيان الصهيوني الاحتلالي في فلسطين المحتلَّة، تطبَّق خلال العشرين سنة الأولى من القرن الحادي والعشرين الميلادي ٢٠٢٠م. وتتيح امتداد دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة إلى أوسع مما هي عليه «من الفرات إلى النيل»، وربما المزيد من التهام المنطقة التي اصطلُح على تسميتها بالشرق الأوسط.[١]

ما يحاك للشرق الأوسط هو على رأي الكاتب طارق فوزي البروتوكول الخامس والعشرون من بروتوكولات حكماء صهيون،[٢] مع أنَّ بروتوكولات حكماء صهيون المتداولة والمشكَّك فيها لا تزيد عن أربعةٍ وعشرين بروتوكولاً. وعندما يأتي الحديث عن الكيان الصهيوني وعن ممارسات الصهيونية الاحتلالية يقوى الحديث عن نظرية المؤامرة ويقوى استحضارها.[٣] يقول فريد هاليداي عن هذه الروايات المختلفة، ومنها ربط الحدث بالموساد: «ربما مردُّها

---

(١) ظهر مصطلح الشرق الأوسط في مطلع القرن العشرين الميلادي (سنة ١٩٠٢م) على يد القائد العسكري الأمريكي ألفرد ثاير ماهان (١٨٤٠ ـ ١٩١٤). انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٧٠.

(٢) انظر: طارق فوزي. المؤامرة: البروتوكول الخامس والعشرون من بروتوكولات حكماء صهيون. ـ مرجع سابق. ـ ٢٧٢ ص.

(٣) انظر: زغلول النجّار. المؤامرة: وقفات مع التآمر الصهيوني والدولي على شعب فلسطين. ـ ط ٥. ـ القاهرة: شركة نهضة مصر، ٢٠٠٥م. ـ ٢٥٥ ص.

إلى «عقدة المؤامرة» التي لا تزال تلازم مجموعة كبيرة من سكَّان الشرق الأوسط وسياسيِّيه ومفكِّريه».[١]

لا يلغي نفي فريد هاليداي أنَّ هناك خططًا لتعميم مشروعات الاستيطان اليهودي في الأراضي الفلسطينية، بما فيها القدس التي يستمرُّ مشروع الاستيطان فيها بحيث يصل عدد السكان اليهود فيها إلى نسبة ٩ , ٧٢ بحلول عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م، بما مجموعه ٦٠٠ , ٥٩٥ يهودي في مقابل ٤٠٠ , ٢٢١ عربي. يأتي هذا من خلال عدد من الخطط والمشروعات زادت على أحد عشر مشروعًا استيطانيًّا.[٢]

---

(١) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤١.

(٢) نظر: علي بدران. القدس والاستعمار الكولونيالي: العروبة في مقابل الجدار الديموغرافي. ـ دمشق: اتِّحاد الكتَّاب العرب، ٢٠٠٦م. ـ ص ٤٦ و٧٣ ـ ٨٤.

الوقفة الخامسة:

المؤامرة في الخطاب العربي

يمكن القول بأنَّ المفهوم قد ظهر بوضوح في محيطنا العربي مع احتلال اليهود لفلسطين، وتواطؤ بعض المعنيين من العرب في تهيئة الظروف لهذا الاحتلال،[١] ثمَّ زاد ظهوره بقوَّة مع هزيمة يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر ١٣٨٧هـ، الخامس من حزيران ١٩٦٧م والقول بأنَّ الأرض العربية التي جرت إضافتها إلى دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م قد بيعت في تلك الحرب، وأنَّ هناك تواطؤًا أيضًا لحدوث ما حدث. يأتي هذا الشعور بالتواطؤ من خلال ضعف أو قل إن شئت: انعدام الثقة بالمؤسَّسة السياسية، كما مرَّ نقاشه، والنظر إليها من منطلقات فكرية لم تُعِنْ على أي نوع من أنواع التقارُب بين القاعدة الشعبية والقمَّة السياسية.[٢]

كانت هناك ولا تزال كتب كثيرة تحدَّثت عن هذه الادِّعاءات،

---

(١) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٤.

(٢) انظر: سعد جمعة. المؤامرة ومعركة المصير. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م. ـ ص ١٦٣ ـ ١٧٧.

ومنها ذلك الكتاب الذي جاء على غلافه صورة زعيم عربي ينحدر مسرعًا من مرتفع وقد ضمَّ في يده كيسًا من النقود.(١) ويذكر المستشرق الألماني الراحل فريتس شتيبات (١٩٢٣ـ ٢٠٠٦م)(٢) أنَّ جمال عبدالناصر كان «في عام ١٩٦٧ ضحية مؤامرة أمريكية ـ إسرائيلية أتت في سياق الحرب الباردة والصراع العربي ـ الإسرائيلي. وبرأي شتيبات، لم يشأ عبدالناصر القيام بحرب في عام ١٩٦٧، بل تحقيق مكاسب سياسية. لكن الاتِّحاد السوفياتي ورَّطه في حرب كان يعرف (أي الاتِّحاد السوفييتي) سلفًا أنها ستكون كارثةً على الزعيم المصري. كانت موسكو تعتقد أنَّ عبدالناصر سيكون ضعيفًا جدًّا بعد الهزيمة وأكثر انقيادًا لها».(٣)

سئل الأديب العربي طه حسين عن أهم حدث مرَّ أثَّر به

(١) يستبعد بطرس بطرس غالي مفهوم المؤامرة في هذا الحدث، ويرى أنَّه كان نتيجة «نظرية الخطأ». انظر: حرب الأيَّام الستَّة. ـ ص ٩٣ ـ ١٠٨. ـ في: أندريه فيرساي. ستون عامًا من الصراع في الشرق الأوسط: شهادات للتاريخ بطرس بطرس غالي وشيمون بيريز. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م. ـ ٤٢٤ ص.

(٢) للمزيد من التفصيلات حول رؤى المستشرق الألماني فريتز شتيبات انظر: عبدالرؤوف سنُّو. الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. ـ بيروت: دار الفرات، ٢٠٠٧م. ـ ص ٤٩٣ ـ ٥٢٨.

(٣) انظر: عبدالرؤوف سنُّو. الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. ـ المرجع السابق. ـ ص ٥٣٦.

فأجاب أنهما حدثان؛ أولهما إعدام جمع من الإخوان المسلمين وكان من أبرزهم سيِّد قطب، وذلك في منتصف الثمانينات الهجرية من القرن الرابع عشر، الستينات الميلادية من القرن العشرين. وثانيهما ما حصل للفلسطينيين في الأردن في شهر رجب من سنة ١٣٩٠هـ أيلول/ سبتمبر من سنة ١٩٧٠م.

وقد قيل عن هذا الحدث الذي أخذ اسم «أيلول الأسود» إنه كان نتيجة مؤامرة أطرافها مختلفة ونتائجها متفاوتة، بحسب تفسيرات الذاهبين إلى أنها مؤامرة، فقيل إنه أريد بها القضاء على منظَّمة التحرير، وقيل إنه أريد بها القضاء على الوجود الأردني لإنشاء دولة فلسطينية مكانه. بينما الواقع لا يخرج عن كون المنظَّمة أرادت أنْ تسيطر على هذا الكيان وتتحكَّم بقراره السياسي.(١) ومثل ذلك قيل في الوجود الفلسطيني في لبنان، لاسيَّما في موقف الكتائب ومن وافقهم من الوجود الفلسطيني في لبنان.

يتبع هذا الهاجس ما قيل من أنَّ جمال عبدالناصر مات مسمومًا، وأنَّ حافظ الأسد تعرَّض لمؤامرة من قِبَل الموساد عند تشييعه لجنازة الملك حسين في الأردن، فقد كان المخبرون حاضرين المناسبة،

---

(١) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٨.

وكانوا يلبسون ساعات تقيس ضغط القلب! كل هذا لتضخيم قدرات المخابرات الإسرائيلية وإمكاناتها.

ثم توالى طرح المفهوم مع الاغتيالات السياسية مثل اغتيال الرئيس المصري الراحل أنور السادات الذي أظهر في نهاية عهده قدرًا من الحدَّة في الخطاب إلى درجة الإفصاح في إحدى خطبه المتأخِّرة عن أنه «لا سياسةَ في الدين ولا دينَ في السياسة»! وإلى درجة التهديد بـ «فرم» من يقف في طريقه، مما جعل المؤمنين بهاجس المؤامرة في كلِّ شاردة وواردة يربطون بين هذه الحدَّة غير المسبوقة وحادثة اغتيال الرئيس. يقول غازي القصيبي: «لأنصار نظرية المؤامرة أنْ يبحثوا عن العلاقة، إنْ كانت هناك علاقة، بين انفعال السادات العلني وبين مصرعه الذي تمَّ في ظروف مريبةٍ جدًّا».[١]

تبادر إلى ذهن الكثيرين عند اغتيال إسحق رابين على يد أحد المتطرِّفين اليهود أنَّ الفاعل عربي، وانبرت أقلام لتوظيف هذا الحدث ضدَّ العرب عمومًا والفلسطينيين الذين يعيشون حالة

---

(١٢٩) انظر: غازي عبدالرحمن القصيبي. أمريكا والسعودية: حملة إعلامية أم مواجهة سياسية؟!. ـ ط ٤. ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م. ـ ص ٧٠.

حرب مع اليهود المحتلِّين منذ ستين (٦٠) سنة خصوصًا،[١] لكن الظنَّ خاب عندما تبيَّن أنَّ المنفِّذ يهودي يعود إلى الفئة التي احتلَّت فلسطين ابتداءً، بـ:

تتَّهم أطراف عربية غارقة في المسألة اللبنانية بمسلسل اغتيالات القيادات اللبنانية التي لا يظهر أنها توقَّفت، ويخشى بأسف أنها لن تتوقَّف، ألا أنَّ النتائج التي لم تظهر بعد قد تثبت عكس ما ترغب فيه بعض الأطراف المتورِّطة في المسألة اللبنانية، وليس بالضرورة في مسلسل الاغتيالات،

لا يحسُن أنْ يستبعد مفهوم المؤامرة على القيادتين والشعبين الإيراني والعراقي في قيام الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثماني سنوات ظهر فيها الطرفان مهزومين، أو ربما قيل إنَّه لم يخرج منها أحد الطرفين منتصرًا،[٢] وكذا الحال مع اجتياح حزب البعث في

(١) في متابعة للخطاب العربي الإعلامي حول هذا الحدث نظر فيه بعض المتفائلين أنَّ هذه المدَّة تعني الصمود والمواصلة، بينما نظر إليه بعض المتشائمين أنَّ هذه المدَّة شاهدٌ على الهوان العربي عامةً والفلسطيني خاصَّة امتدادًا لعقدة جلد الذات.

(٢) وصل احتياطي العراق قبيل هذه الحرب ستة وثلاثين مليار (٣٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وفقدت العراق بعد الحرب مليون (١,٠٠٠,٠٠٠) إنسان وبلغت ديونه سبعة وسبعين مليار (٧٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار. انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟ ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٠. =

العراق للكويت ليلة الخميس ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م، وسقوط بغداد الأخير الذي لم يكن الأوَّل وذلك يوم الأربعاء ٦/ ٢/ ١٤٢٤هـ الموافق ٩/ ٤/ ٢٠٠٣م بأيدي قوَّات الاحتلال الغربية،[1] حيث انتهت اللعبة التي كانت قد بدأت قبل احتلال النظام البعثي للكويت في ١١/ ١/ ١٤١١هـ الموافق ٢/ ٨/ ١٩٩٠م.[2]

تلك اللعبة أو المسرحية السياسية العسكرية الضخمة من «إنتاج هوليودي كبير مع تخصيص ميزانية ضخمة تجاوزت كل التوقُّعات، رغم المشاكل المالية والاقتصادية التي كان ومازال يعاني منها الاقتصاد الأمريكي. وفيها من التمثيل والكذب والغش والخداع ما يفوق كل السيناريوهات، مسرحها العراق ومجلس الأمن، وموضوعها أسلحة الدمار الشامل».[3]

= وانظر في خسائر العراق في حرب الخليج: عبدالكريم العلوجي. الأعمدة السبعة للمستقبل العربي. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(١) انظر: مصطفى بكري ومحمود بكري. العراق: المؤامرة، الخيانة، الاحتلال. ـ القاهرة: الأسبوع للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٣م. ـ ٣٢٣ ص.

(٢) انظر: محمد الدوري. اللعبة انتهت: من الأمم المتَّحدة إلى العراق محتلًّا/ أجرى الحوار جورج فرشخ. ط ٢. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م. ـ ص ٣٣.

(٣) انظر: محمد الدوري. اللعبة انتهت. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢١.

ستكشف روايات صدام حسين التي كتبها أثناء اعتقاله، إذا ظهرت للنشر، الحال التي كان عليها العراق أثناء الاحتلال، ولو بتعبيرات رمزية، ربما كشفت عن الخيانات التي منيت بها قيادة الحزب من صانعي القرار فيه المقرَّبين من الرئيس، بحيث أضحت هذه القيادات الحزبية بما تملك من معلومات إستراتيجية عونًا على الحزب والإسراع في سقوط بغداد،[1] مع عدم استبعاد مشاركات يهودية من فلسطين المحتلَّة في هذا الاحتلال، [2] لاسيما في شمال العراق بوضوح أكثر، حيث تتقاسمه الحملات التنصيرية والنفوذ اليهودي.

وكذلك الانقلابات الثورية ومحاولاتها والقول بأنَّها صُنعت في الخارج، وجيء ببني البلاد الذين غُسلت عقولهم لتنفيذ مخطَّطات المدبِّرين والمتآمرين ومصالحهم،[3] وكذلك الاجتياحات الخارجية للبلاد العربية والإسلامية، ومنها معضلة البوسنة والهرسك

---

(١) انظر: محمد إبراهيم بسيوني. المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي مَن بعد العراق؟.ـ مرجع سابق.ـ ص ٧٨ ـ ٨٥.

(٢) انظر: دور إسرائيل في الحرب على العراق.ـ ص ٤٧ ـ ٥٥.ـ في: عبدالكريم العلوجي. تراجيديا إعدام رئيس عربي.ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م.ـ ٢٠٨ ص.

(٣) انظر: مجدي كامل، مقدم. مايلز كوبلاند وكتابه لعبة الأمم: القصَّة الدامية لاختراق أنظمة الحكم العربية.ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م.ـ ص ١٦ ـ ٢٥.

وكوسوفا التي دخل فيها مفهوم المؤامرة حتَّى في تدبير حملات الاغتصاب للنساء المسلمات. والأيام حبلى بالمزيد من التقارير الرسمية، أي الموثوقة إلى حدٍّ كبير، التي تبيِّن وجود تدبيرات وخطط في هذا المنحى.(١)

(١) انظر: محمد عيسى داود. سرُّ المؤامرة: حتَّى لا يُضرب العراق والسدُّ العالي بالقنبلة النووية. ـ القاهرة: مدبولي الصغير، ٢٠٠٢م. ـ ٣٤١ ص.

الوقفة السادسة:

المؤامرة والخوف من الإسلام

حين انحسرت الشيوعية «الفزع الأحمر» كما أطلقته عليها المكارثية في الستينات والسبعينات الهجرية، الأربعينات والخمسينات الميلادية من القرن المنصرم،[١] والفاشية والنازية وتوارت عن الوجود الرسمي المدعوم سياسيًّا جرى صنع عدوٍّ جديد، فاحتار صنَّاع العداء بين الرجل الأصفر «الصيني أو الياباني أو كليهما» أو الدين الإسلامي، فجاء الحديث عن خطر الإسلام أو الخوف من الإسلام Islamophobia،[٢] أو العربوفوبيا،[٣] وقُرن الإسلام بالإرهاب والفاشية،[٤] لاسيَّما بعد أحداث يوم الثلاثاء الحادي

(١) انظر في الفزع الأحمر أثناء الفترة المكارثية: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٣.

(٢) في تحرير مصطلح Islamophobia. وتركيبته اللغوية انظر: مصطفى الدباغ. الإسلام فوبيا Islamophobia: عقدة الخوف من الإسلام. ـ ط ٢. ـ عمَّان: دار الفرقان، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ. ـ ص ١١ ـ ١٢.

(٣) انظر: الحسيني الحسيني معدِّي. حروب الغرب المقدَّسة على الإسلام: وثائق المؤامرة والإدانة. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م. ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٤٧.

(٤) الفاشية هي اصطلاح الفاشية "fascism" مشتق من الكلمة الإيطالية feces، وهي تعني حزمة من الصولجانات كانت تُحمَل أمام الحكام في روما القديمة دليلاً على سلطاتهم. وفي تسعينيات القرن التاسع عشر بدأت كلمة فاشيا "fascia" تستخدم =

عشر من سبتمبر ٢٠٠١م الموافق ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ فكان الإعلان عن محاربة الإرهاب والفاشية الإسلامية.(١)

كان المقصود بهذا الإعلان، على رأي بعض المفكِّرين العرب والغربيين، محاربة الإسلام،(٢) رغم توكيدات القيادات الغربية على أنَّ الإسلام ليس هو المستهدف من هذه الحملة.(٣) فاستمرَّ

= في إيطاليا لتشير إلى جماعة أو رابطة سياسية عادة ما تتكون من اشتراكيين ثوريين. وكان توظيف موسوليني لوصف الجماعة البرلمانية المسلحة التي شكّلها في أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها أول موسوليني في زيه الفاشي مؤشرا على أن اصطلاح "fascisma" قد حظي بمعان أيديولوجية واضحة، وعلى الرغم من ذلك فعادة ما يفتقر توظيف اصطلاحي "الفاشية" "fascism" و"الفاشي" "fascist" إلى الدقة، فكثيرًا ما تستخدم كاصطلاحات تهدف إلى الإساءة السياسية للخصوم السياسيين والاتهام لهم بالدكتاتورية ومعاداة الديموقراطية. انظر موسوعة ويكيبيديا الحرة الإلكترونية. (٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ٨/ ٥/ ٢٠٠٨م).

(١) ينقل جراهام فولر في مقالة له بعنوان: عالم دون إسلام عن اليوربول أنَّ عدد العمليات الإرهابية التي ارتكبت في أوروبا سنة ٢٠٠٦م بلغت ٤٩٨ عملية لم يُتَّهم من يحمل الهوية الإسلامية منها إلا بواحدة. انظر مجلة السياسة الخارجية. ـ عدد يناير وفبراير سنة ٢٠٠٨م. Graham Fuller. WORLD WITHOUT ISLAM. FOREIGN .POLICY. (Jan-Feb 2008). 60 p

http://www.foreignpolicy.com/users/login.php?story_id=4094&URL=http://www. (foreignpolicy.com/story/cms.php?story_id=4094 (23/4/1429H. 29/4/2008g

(٢) انظر: رجب البنَّا. صناعة العداء للإسلام. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣م، ـ ٤٦٤ ص.

(٣) انظر: سعيد اللاوندي. الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟!. ـ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م. ـ ٣٢٠ ص.

الفزع، إلا أنَّ اللون تغيَّر من الأحمر إلى الأخضر! وسواء أكان التعبير بالعداء للإسلام أم العداء للمسلمين فإنَّ النتيجة في النهاية واحدة،[١] فيها استعادة لمصطلحات يسعى الراغبون في تغليب التلاقي إلى تلافيها كالحروب الصليبية والعدالة الأبدية والجبهة الخضراء ومحور الشرِّ.[٢]

يُعبَّر عن هذا الخطر القادم بتعبيرات تتراوح بين السطحية في الطرح والعمق فيه. ومن التعبيرات السطحية للخطر القادم ما صرَّح به أحد القُسس الغربيين بقوله: «إنَّ الخطر الحقيقي الذي يهدِّدنا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقلٌّ كلَّ الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتَّعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أنْ يقيموا قواعد عالم جديد دون الحاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة

---

(١) انظر: فريد هاليداي. معاداة الإسلام أم معاداة المسلمين. ـ ص ٧١ ـ ٧٤. ـ في: فريد هاليداي. ساعتان هزَّتا العالم: ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، الأسباب والنتائج. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢م. ـ ٢٥٦ ص.

(٢) انظر: جون إسبوزيتو. الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع حضاري؟. ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. ـ ص ١٦ ـ ٢١. ـ (سلسلة محاضرات الإمارات، ٧٤).

الغربية».[١] وينقل عبدالله العليان النصَّ نفسه عن سعيد جودت في كتابه:[٢] لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام؟ الذي ينقله بدوره عن أحد المسؤولين الفرنسيين في السبعينات الهجرية الخمسينات الميلادية.[٣]

من الأطروحات السطحية التي استقبلتها بعض الأوساط تلك التنظيرات التي أرادت أنْ ترسِّخ مفهوم الخطر الإسلامي الكامن، فتحدَّثت عن نهاية التاريخ في سلسلة أطروحات تعنى بالنهايات عمومًا،[٤] وتحدَّثت أخرى عن حتمية صدام الحضارات، وليس مجرَّد صراعها، ولا أحسب أنها تستحقُّ كل ذلك الاهتمام الذي ووجهت به عند طرحها، بدليل تراجُع من اشتهروا بها عنها، مع أنهم مردِّدون لما تمَّ طرحه من قبلُ،[٥] وهم عالة على أساتذتهم ومن سبقهم.

(١) انظر: الحسيني الحسيني معدِّي. حروب الغرب المقدَّسة على الإسلام. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٥.

(٢) انظر: جودت سعيد. لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام؟. ـ دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦م. ـ ٦٤ ص.

(٣) انظر: عبدالله العليان. الإسلام والغرب ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ـ ص ١٨.

(٤) انظر: محمد سيف حيدر النقيد. نظرية «نهاية التاريخ» وموقعها في إطار توجُّهات السياسة الأمريكية في ظلِّ النظام العالمي الجديد. ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٧م. ـ ١٩١ ص.

(٥) انظر: عبدالله العليان. الإسلام والغرب ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٧ ـ ٢٤.

يقتضي هذا أنْ يكون مفهوم المؤامرة قائمًا على وجود عداء أو خطر أو خوف من قوَّة ما مادِّيةً كانت أم معنوية، فإنْ لم يوجد العداء أو الخطر أو الخوف جرى إيجاده تخيُّلاً ثمَّ تسويقه إعلاميًّا وسياسيًّا حتَّى يصل إلى درجة التصديق. يقول المستشرق الألماني فريتز شتيبات: «هناك فئات من الناس تشعر وبكلِّ بساطة بالحاجة إلى مواجهة خطر داهم أو عدوٍّ متربِّص، فإذا لم تعُد هناك قوى شيوعية، فإنَّ الإسلام يأتي كبديل في متناول اليد».(١)

ويذكر المستشار الاقتصادي هاري شارت «أنَّ هناك إشاراتٍ على أنَّ واشنطن تبحث عن بعبع بديل تخيف به المجتمع الدولي ليقبل، ضمنًا على الأقلِّ، باستمرار التدخُّل الأمريكي غير القانوني والأحادي في شؤون الدولة السيِّدة. وأبرز المرشَّحين لهذا الدور إلى اليوم الظاهرة التي تطلق عليها وسائل الإعلام الغربية تسمية «الأصولية الإسلامية»،(٢) التي تعني في أحد معانيها بالمفهوم الغربي العداء للبشرية!(٣) ويمضي

---

(١) انظر: عبدالرؤوف سنُّو. الألمان والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٠١.

(٢) انظر: هاري شارت. الديموقراطية الجديدة: بدائل لنظام جديد/ ترجمة عبدالرحمن أيَّاس. ـ بيروت: العالمية للكتاب، ٢٠٠٣م. ـ ص ٢٣.

(٣) انظر: هنري بينا ـ رويث. ما هي العلمانية؟/ ترجمة ريم منصور الأطرش، مراجعة جمال شحيِّد. ـ دمشق: المؤسسة العربية للتحديث الفكري، ٢٠٠٥م. ـ ص ١٩٩.

هاري شارت في تسويغ هذا التوجُّه إلى محفِّز داخلي ضمن بعض المجموعات الإسلامية التي أعلنت «الجهاد» ضدَّ النفوذ الأمريكي. وقد يكون هذا الاتِّجاه مشجِّعًا للتمييز الديني، إن لم يكن العرقي.(١)

من المؤكِّد أنَّ الخوف من الإسلام ليس بضاعةً أمريكية فحسب، بل يمكن القول إنها بضاعة غربية، بالمفهوم الفكري للغرب، وليس بالضرورة بالمفهوم الجغرافي الجهوي للغرب.(٢) ولعلَّ من بواعث الخوف الجهلَ بالمخيف من منطلق من جهل شيئًا عاداه، أو من منطلق أنَّ كلَّ مجهول ذو خشية ورهبة، لاسيَّما عند اعتبار الإسلام والعرب ممثِّلين للشرق.(٣)

يقتضي هذا الموقف من الخوف من الإسلام التصدِّي بالدفاع عنه في وجه ظهور أحوال واضحة تسيء إلى الإسلام ولا تحتمل التأويل أو التهاوُن أو التماس الأعذار من منطلق تسامُحي، فما

---

(١) انظر: هاري شارت. الديموقراطية الجديدة: بدائل لنظام جديد. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٣.

(٢) انظر: سعيد اللاوندي. فوبيا الإسلام في أوروبا: إشكاليات الوجود العربي والإسلامي في المجتمعات الغربية. ـ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م ـ.

(٣) انظر تصدير محمد عناني لكتاب إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ص ١٩.

هكذا يكون التسامُح، لاسيَّما عندما يتعرَّض الإسلام والرسول محمد ﷺ والقرآن الكريم ورموز الإسلام لهجمات واضحة مهمتها زرع الكراهية والعداء بين الثقافات والتعويل على كُتَّاب عرفت عنهم إثارة هذا النوع من الكراهية والعداء من أمثال برنارد لويس[1] وتلاميذه الذين يسعون إلى تعميق الفجوة بين الغرب والإسلام،[2] وينتجون نتيجةً لهذا النوع من الطرح المتسِّرع

(١) انظر: كتابات برنارد لويس الأخيرة المتَّسمة بالسرعة والسطحية مثل أين مكمن الخطأ، - What went wrong?.- London: Phoenix، 2002.- 200 p. وأزمة الإسلام: حرب مقدَّسة وإرهاب غير مقدَّس، The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror.- London: Phoenix، 2004.- 157 p.. **برنارد لويس** الإسلام وأزمة العصر: حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس/ ترجمة أحمد هيكل.- القاهرة: **المجلس الأعلى للثقافة**، ٢٠٠٤م.- ١٧٤ ص.- (سلسلة المشروع القومي للترجمة؛ ٧٤١).

(٢) انظر: الانجراف في كتابات أحد تلاميذ برنارد لويس صاموئيل (السموأل) هانتينحتون، ومنها كتابه: من نحن؟- .Samuel P. Huntington. Who Are We?.- London: Free Press، 2004.- 428 p.. وكتاب بول هولاندر فهم العداء ضدَّ أمريكا الصادر في شيكاغو عن إيفان آر. دي سنة ٢٠٠٤م في ٣٧٢ ص. Understanding Anti-Americanism: Its Origins and Impact at Home and Abroad.- Chicago: Ivan R. Dee، 2004.- 372 p. وكتاب فرانسيس فوكوياما: أمريكا على مفترق الطرق: الديموقراطية والقوة وتراث المحافظين الجدد، الصادر في نيو يورك عن جامعة ييل سنة ٢٠٠٦م في ٢٤٠ ص. America at the Crossroad: Democracy، Power، and the Neocoservative Legacy.-New York: Yalw University Press، 2006.- 240 p.-.

مفكِّرين عربًا ومسلمين يقابلونهم الكراهية والعداء، ومن ثَمَّ يخفت صوت الذين يسعون إلى تجسير الفجوة بين الطرفين، وربما كانت هذه الإسهامات السريعة من نتاج الخوف من الإسلام، رغم الزعم الغربي أنه لم يضع لنفسه سياسات خاصة تجاه الإسلام، إلا أنه بات مؤخَّرًا مسكونًا بما يسمّيه الإسلام السياسي.(١)

شاع في الآونة الأخيرة وإلى تحرير هذه الوقفات أربع حالات يصدق عليها هذا القول: كتاب الآيات الشيطانية لسلمان رشدي، والرسوم الصحفية الدانمركية المسيئة لرسول الهدى محمد بن عبدالله ﷺ، وموقف بابا الكنيسة الكاثوليكية الألماني بنيديكت السادس عشر في محاضرته المشهورة، وفلم «فتنة» لمنتجه الهولندي جربت فيلدرز الذي يدعو فيه إلى إلغاء القرآن الكريم.(٢)

هكذا هي الحالات الأربع تمثِّل أربعة مسارات فكرية؛ الكتاب والمحاضرة والصحافة وصناعة الأفلام. يوحي هذا التمثيل بالسعي

(١) انظر: ـ جراهام فولر. السياسة الأمريكية تجاه الإسلام السياسي. ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٤م. ـ ص ٨. ـ (سلسلة محاضرات الإمارات، ٨٥).

(٢) يتساءل مهاجراني: ماذا لو كانت هذه الإساءات كانت موجَّهة إلى اليهود واليهودية؟! انظر: عطاءالله مهاجراني. الفتنة أشدُّ من القتل. ـ صحيفة الشرق الأوسط. ـ ع ١٠٧٤٧ (١/ ٥/ ٢٠٠٨). ـ ص ١٦.

إلى انتشار وسائل الإساءة للإسلام. ولا أحسب أنَّ هذه مصادفة أو أنها لا تخلو من تضافُر وسائل نشر المؤامرة، وليس بالتخطيط المباشر والمسبق بينها بالضرورة. ولذا فهي لا تحتمل التغاضي دون اتِّخاذ تدابير حضارية لصدِّها ولصدِّ ما قد يتلوها من إساءات وإنْ اختلفت الوسيلة.

التدابير الحضارية لتصحيح صورة الإسلام ومسح هاجس الخوف منه تأخذ وسائل متعدِّدة، ولكنها وسائل حضارية ليواجه «هذا الظلم البيِّن وذلك التشويه العيِّن، بردٍّ في حدود طاقتنا وبطريقة الحكمة والموعظة الحسنة التي علَّمنا إياها الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ؛ لأننا لاحظنا بعض ردَّات الفعل في بعض البلدان العربية من حرق وتدمير للسفارات وبعض المنشآت الدينية غير الإسلامية، والتي بدا من أحداثها أنَّ هناك يدًا خفيَّةً مدسوسة وسط الجموع المسلمة الغاضبة، حيث يسهل نسبة كلِّ فعلٍ سيِّءٍ للمسلمين بغير حقٍّ أو قرينةٍ أو بيِّنة، ما أظهر المسلمين في حالٍ قد طيَّرتها وسائل الإعلام المغرض في أنحاء العالم؛ ليقال بأنَّ هؤلاء هم المسلمون الذين لطالما حدَّثناكم عن «همجيَّتهم» و«خطرهم» و«وحشيَّتهم» إلخ! الأمر الذي يوطِّد الاعتقاد بالصورة الذهنية والفكرة المشوَّهة عن الإسلام والمسلمين. وهو ما يكرِّس الانتهازية الغربية للإمعان

في الإساءة والبذاءة والتشويه الحاقد للرسول ﷺ وللإسلام وللمسلمين كافَّةً على نحو ما رأينا جميعًا».(١)

❖ العداء للديمقراطية:

تتوالى التحقيقات الإعلامية حول حقيقة وجود أعداء للديمقراطية الغربية أو للنمط الغربي في الحياة عمومًا، تمثَّل هذا العداء من قبلُ بالشيوعية. وتصدر سلاسل إعلامية توثيقية متلفزة تؤكِّد أنَّ هناك تعمُّدًا لتخيُّل عدوٍّ غير موجود،(٢) ثم البحث له عن دلائل وإثباتات، أي صنع القالب ثم البحث عما يملؤه، هكذا بهذه السطحية في التفكير والطرح، ويكون من مقاصده غير الواضحة نثر الرعب بين العامة ليتماشوا مع نظرية وجود عدوٍّ متربِّص ليس خارج الحدود فحسب وإنما داخلها، مما يطلق عليه مصطلح الخلايا النائمة «Sleeper's Sells».

يروح ضحية هذا الأسلوب في صناعة الأعداء في المجتمع الغربي بعضُ الأبرياء من أعراق عربية وإسلامية وأعراق قريبة

---

(١) انظر: عطية فتحي الويشي. الخُواف الإسلامي Islam Phobia بين الحقيقة والتضليل. ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ص ٢٥٥.

(٢) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦١ ـ ٦٢.

منها؛ لأنه لا بدَّ من إثبات هذه الفرضية، ولأنهم كانوا في السحنة غير المناسبة وفي الشكل أو الهيئة غير المناسبة وفي المكان غير المناسب وفي الوقت غير المناسب وفي الظرف غير المناسب.(١) كما يروح ضحيته في المجتمع العالمي أبرياء آخرون كانوا يستفيدون من المدِّ الإغاثي الإسلامي عندما جرى تكبيل العمل الإسلامي عمومًا والإغاثي بخاصَّة؛ بحجَّة محاصرة الإرهاب وتجفيف منابعه.(٢)

يتزعَّم هذه التخيُّلات المصطنعة فريق ممن رأوا العالم بعيون فوقية ونفسيات ذات رغبة في السيطرة على الكون. ويصدِّقهم صنَّاع القرار ويعملون على تحقيق تطلُّعاتهم. وكل هذا من مكنونات خيالية تربَّى عليها هذا الفريق ودعمتها بعض مؤسسات المجتمع المدني المحافظة ومؤسسات المجتمع المتطرِّف دينيًا في البيئة الغربية التي يفترض في بنائها أنْ يكون قائمًا على المفهوم العلماني.

---

(١) انظر على سبيل المثال: سلسلة ـ The Passionate Eye وهو من إنتاج شبكة سي بي سي ـ «CBC» الكندية و ـ The Power of Nightmares وهو من إنتاج شبكة بي بي سي «BBC» البريطانية وغيرها. وهي برامج تشير إلى البحث عن الرأي الآخر ـ من الداخل في هذا المسار ذي الاتجاه الواحد.

(٢) انظر: ـ مُحَمَّد بن عبدالله السلُّومي. ضحايا بريئة للحرب على الإرهاب. ـ [لندن: المنتدى الإسلامي]، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٣٠٤ ص. ـ (سلسلة كتاب البيان؛ ٦٣).

أخيرًا يأتي من الأمثلة في المحيط العربي تراشُق التهم والانتقادات بين الإدارة الأمريكية والإدارة العراقية مع نهاية السنة الهجرية ١٤٢٧هـ بداية السنة الميلادية ٢٠٠٧م. وقد نُظر إلى هذه الانتقادات على أنَّها «ضرورية لإرضاء معارضي السياسة الأمريكية داخل أمريكا وخارجها»، وهو في الجانب الآخر «يُظهر الحكومة العراقية أمام شعبها بمظهر الممسك بمقاليد الأمور».[١]

(١) نقلته صحيفة الحياة في عددها ١٥٩٩٥ الجمعة ٣٠/ ١٢/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٩/ ١/ ٢٠٠٧م.

الوقفة السادسة:

المؤامرة بين التهويل والتهوين

❖ موقف التهويل:

حينما علَّق مفكِّرون جميع ما يدور في الكون من مصائب على هذا المفهوم إلى درجة أنَّه أضحى عقدة محكمة «Nut» يصعبُ فكُّها انبرى آخرون وتبرَّؤوا من شأن مفهوم المؤامرة، وألاَّ وجود له على الواقع، وإنما هي أوهام تُعلَّق عليها سمات العجز في الإنسان عن مواجهة الواقع المرِّ الذي يعيشه ويسهم فيه، أو العجز عن الإمساك بخيوط تدبيره، لكنه يصرُّ على أنَّه ليس طرفًا في هذا الواقع المرِّ، بل يرى أنَّه هو المستهدَف فيه وربَّما المنفِّذ له.(١)

وقد قيل في هذا: إنَّ التهويل من مفهوم المؤامرة نفسه هو جزء قد لا يكون مباشرًا من المفهوم نفسه، كما أنَّ التهوين من هذا المفهوم هو كذلك جزء غير مباشر منه. والركون إلى هاجس المؤامرة يفضي إلى عمىً في البصيرة عن قوى المرء الذاتية الكامنة، وتتضخَّم عنده قدرات خصمه فتورثه عجزًا ويأسًا. «والعاجز اليائس إما أنْ

---

(١) انظر: جون لوكاريه. خيوط المؤامرة/ ترجمة وتحقيق مروان سعد الدين. ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧م. ـ ٣٤٩ ص.

يستسلم لإرادة خصمه أو ينزوي عن مسرح الأحداث. وفي كلتا الحالتين هو الجاني على نفسه».[١]

التهويل يخدم الآخر أكثر من خدمته للمهوِّلين، كما يقول الدكتور صادق جلال العظم.[٢] على أنَّ نظرة المبالغة والتهويل لأحداث يوم الثلاثاء ٢٢/ ٦/ ١٤٢٢هـ الموافق ١١/ ٩/ ٢٠٠١م على سبيل المثال هي بالضرورة نظرة أمريكية، «بحكم أنَّ الظاهرة فاجأت المجتمع الأمريكي، وأقصد به المواطنين وليس النظام»، كما ينقل وحيد تاجا.[٣]

ويضيف ناجح إبراهيم عبدالله: «وليت أصحاب نظرية المؤامرة توقَّفوا عن مخالفتهم لسنَّة التغيير السلبي عندما أخطأوا تفسير مصائب الأمَّة ونكباتها، وألقوا باللوم على تآمر الأعداء بدلاً من محاسبة النفس ومكاشفتها تمهيدًا لتغييرها إلى الأحسن ولكنهم أيضًا خالفوا سنة التغيير الإيجابي بقعودهم عن الأخذ بأسباب الرقي

(١) انظر: عبدالله الصبيح. نظرية المؤامرة والوعي السياسي. ـ منارات. ـ ع ٦ (ربيع الأول ١٤٢٦هـ ـ إبريل ٢٠٠٥م). ـ ص ٨٠.

(٢) انظر: وحيد تاجا، محرِّر. الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م: حوارات فكرية. ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٣م. ـ ص ٦٦.

(٣) انظر: وحيد تاجا، محرِّر. الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٨٢.

والتقدم والخروج من المحنة التي تردَّت فيها الأمة الإسلامية. ومن هنا كان دور هذا الخطاب الديني ملحًّا للقيام بعملية تجميل دقيقة للعقل العربي والإسلامي تستهدف علاج التشوهات الخطيرة التي لحقت به من جرَّاء الوقوع ـ على مدى عشرات السنين ـ ضحية لنظرية المؤامرة».[١]

إنَّ ما مرَّ بالمجتمع المسلم من حالات متواصلة من أنواع الاعتداء بدءًا بحروب الفرنجة (الحروب الصليبية) ثم الاستعمار ثم الهيمنة زمن القطب الواحد والنظام العالمي الجديد، كل هذه ساعدت على هذه النظرة السلبية تجاه الغرب الذي نشأت عنه وتنشأ هذه الحالات على مدار التاريخ العربي الإسلامي. «وربَّما كان لهذا التاريخ المليء بالمظالم والمؤامرات التي تعرّض لها المسلمون حتَّى ذاقوا المرارات وتجرَّعوا السمَّ الزعاف، وخسروا الكثير من أمنهم وعزَّتهم وبلادهم وأنفسهم، مضافًا إلى الأماني الكاذبة والخدع المستمرَّة التي كان ولا يزال يمنّيهم بها المستكبرون ويعدونهم بالوقوف إلى جانبهم ونصرة قضاياهم، ثم سرعان ما تتبخَّر هذه الوعود وتذهب سدى، ولا يحصد المسلمون إلا المرارات والآلام،

(١) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

إنَّ ذلك كله ساهم في تشكيل هذه الذهنية التي تحمل هذه الصورة السوداوية القاتمة تجاه الآخر».(١)

مع هذا فليس «صحيحًا أنَّ الغرب (الآخر) هو ـ حصرًا ـ الاستعمار، والغزو، والسيطرة، وحبَّ امتلاك العالم، والتفوُّق، والاستعلاء، والعنصرية، والعداء للدين وللإسلام بوجه خاص، كما تردُ أوصافه في مفردات خطاب الأصالة، بل هو ـ أيضًا ـ العلم، والعقل، والحرية، والمدنية، والتنظيم، والإنتاج. في المقابل ليس الغرب هو ـ فقط ـ فلسفة الأنوار، والثورة الصناعية، ومبادئ الثورة الفرنسية، والنظام السياسي الحديث القائم على الدستور والحرِّيات، على ما يلحظ خطابُ الحداثة ذلك حصرًا، وإنما هو ـ كذلك ـ تلك الرأسمالية المتوحِّشة الزاحفة بجيوشها إلى أسواق عالم «ما وراء البحار»؛ وتلك الفكرة العنصرية (المركزية الأوربية) عن «تفوُّق» «الرجل الأبيض»، وذلك المخيال الجَمْعي الذي جهَّزته روايات الحروب الصليبية والصدام المسيحي الإسلامي في الأندلس والبلقان، والآتي إلى ديار المسلمين للثأر والقِصَاص؛ وذلك القمع البربري لشعوب المستعمرات الذي بلَغ حدود

(١) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

الإبادة الجماعية!». (١)

لا يظهر أنَّ هاجس تفوُّق الرجل الأبيض قد جاء به الرجل الأبيض نفسه، وإنما أملته عليه الماسونية التي وزَّعت العالم إلى أسياد وأحرار وعبيد، والأسياد هم البيض، لاسيما الآريين منهم! (٢)

وتكاد المؤامرة السياسية والعقدية والاجتماعية ثم الاقتصادية ترتبط ارتباطًا مباشرًا بتدبيرات الماسونية، بحيث يكون لها ضلع في تنظيمات سرِّية غامضة وتخطيطات بعيدة المدى لا يظهر عليها أنها تسعى إلى خير البشرية ونشر العدل والوئام والرفاه الاجتماعي، مهما تلبَّست بلباس الظهور بذلك، بل ثبت أنها محفِّز للقلاقل والثورات السياسية والدينية والاجتماعية في العالم كافَّةً، ربَّما لترسيخ هيمنة الأسياد البيض. (٣)

(١) انظر: عبدالإله بلقزيز. العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٩.

(٢) انظر: منصور عبدالحكيم. مؤامرات وحروب غيَّرت العالم صنعتها الماسونية للسيطرة على العالم. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥ ـ ٤٣.

(٣) انظر الملحق الخاص بالرصد لما ظهر من كتب عربية ومعرَّبة عن الماسونية في مفهومها وأهدافها وارتباطاتها.

❖ الحفر في الثوابت:

تولَّد عن هذا النمط من التفكير ومن باب التهويل هاجسٌ أو عقدة تُعيد أيَّ حركة تطويرية في الحياة العامَّة أو تغيُّر اجتماعي حتمي إلى هذه العقدة، وأنَّ التطوير المزعوم أو التغيُّر الحتمي المطلوب هذا إنما هو مؤامرة على الثوابت والمستقرَّات يفضي إلى تقويضها ثابتًا بعد ثابت ومستقرًّا بعد مستقرٍّ وإنْ بالتدريج،[1] إذ إنَّ تقويض الثوابت والمستقِرَّات يبدأ عادة بالأسهل ثم السهل وهكذا. ويظهر هنا تساؤلٌ حول إمكانية تقويض الثوابت في مقابل إمكانية إضعافها بإضعاف المنتمين إليها ولو إلى حين. ويجد هذا الفريق الذي يسعى إلى حماية الثوابت والمستقرَّات مستندًا في أصول الدين يقوم على مفهوم سدِّ الذرائع الذي هو مفهوم راقٍ وسليم إذا لم يُبالَغ في توظيفه وجعله مخرجًا لرفض أيِّ تطوُّر.

لا يأتي تقويض الثوابت خلوًّا من التلبُّس بالنصوص التي جاءت لإباحة التنازُل عن فرض من الفروض مثلاً لظروف خاصة جدًّا

(١) المراد بالثوابت الرواسخ المستقرَّة المقامة على أمر لا يتغيَّر. وهي «ذلك القدر الذي يمثِّل دين الإسلام ويمثِّل هويته وحقيقته، بحيث لا يتصوَّر إسلام بدونها». انظر: سعيد بن ناصر الغامدي. تطاول المنافقين على الثوابت. ـ ص ٥٠٣ ـ ٥٧٠. ـ في: مجلة البيان ومبرَّة الأعمال الخيرية بالكويت. مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام. ـ الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٨٠٩ ص.

وفي حالات ضيِّقة جدًّا، فتُعمَّم هذه الظروف على الناس، أو على فئة منهم، لتقويض ثابت بعينه، كالصوم في حال العمّال الميدانيين، على ما هو مفهوم ما أقدم عليه رئيس عربي سابق من «زحزحة مدوَّنة الأحوال الشخصية ومنظومة الشعائر وخاصة فيما يتعلَّق بالصوم غير مكترث بموقف المؤسَّسات الدينية في «العالم الإسلامي»»،[1] ربما بدعوى التعايُش مع العصر، أي الحداثة، ومتطلَّباته في العمل والإنتاج، بحكم أنَّ الصوم في نظر بعض الناس مؤثِّرٌ سلبًا على الإنتاجية.[2]

ما يُقال عن الصوم وأنه مؤثِّرٌ سلبي قد يُقال عن بقية العبادات التوقيفية بما فيها الصلوات المفروضة خمس مرَّات باليوم، وربَّما يقال بالاكتفاء بصلاة الجمعة، على اعتبار أنها مكفِّرة لما قبلها، وعلى اعتبار أنها تأتي في إجازة نهاية الأسبوع لدى المسلمين، لاسيَّما

---

(١) انظر: آمال قرامي. الإسلام الآسيوي. ـ بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م. ـ ص ١٩٨ ـ ٢٠٠. ـ (سلسلة الإسلام واحدًا ومتعدِّدًا). والوقت الآن هو وقت تصنيف الإسلام، كالإسلام الآسيوي والإسلام الإفريقي والإسلام الشعبي والإسلام السياسي والإسلام الخارجي والإسلام الحركي، وهكذا. وتظهر الآن سلسلة باسم الإسلام واحدًا متعدِّدًا يشرف عليها عبدالمجيد الشرفي من تونس.

(٢) انظر: آمال قرامي. الإسلام الآسيوي. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٩٨ ـ ٢٠٠. وربما اعتمد رئيس الدولة على فتوى من أحد علماء الأزهر نشرها سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م في صحيفة الأخبار الجديدة حول هذا المفهوم.

إذا نُظر إلى هذه الثوابت على أنها معوِّقات للإنتاجية![1]

في مقابل هذه النظرة يأتي رئيس عمل غير مسلم في بلاد إسلامية ويختبر العمَّال المسلمين بالعرض عليهم عند دخول شهر رمضان المبارك أنَّ من يفطر ليعمل أكثر سيضاعف له الأجر، ومن يصوم سيعطيه نصف الأجر، فيفطر رهط طمعًا في الزيادة، ويصرُّ على الصوم آخرون طمعًا في الرزق، فيسرِّح الرئيس من أفطروا ويكافئ من صاموا، بحجَّة أنَّ التزام من صاموا بأحكام دينهم تدفعهم إلى الإنتاجية، ومن تهاونوا في دينهم فالأحرى بهم أنْ يتهاونوا في عملهم وفي دنياهم. ولا تلتفت هذه الوقفة إلى الأسلوب المخادع الذي نهجه رئيس العمل تجاه عمَّاله البسطاء، فما كان منه أنْ ينهج هذا الأسلوب.

يخضع الحفر في الثوابت إلى مخطَّط أو مؤامرة. قد يأتي هذا المخطَّط عن طرق مختلفة، ولا يقلُّ الاقتصاد في بُعده الاستهلاكي أثرًا عن أيِّ مؤثِّر آخر، بحيث يتمُّ من خلاله «تفريغ الشعوب العربية والإسلامية من مضمونها، وتجريدها من سلاحها، وزعزعة

(١) ربَّما فضَّل بعض رجال الأعمال المسلمين في بعض المجتمعات المسلمة زمن الطفرة الاستعانة بالعمَّال غير المسلمين حرصًا منهم على عدم الانقطاع عن العمل بحجَّة التفرُّغ لأداء العبادات! ولكنها ممارسات لم تستمر.

أسس دينها وتراثها ولغتها وتقاليدها، دون أنْ تشعر بهذا التفريغ والتجريد والزعزعة».[١] وهذا ما يجعل للاقتصاد قوَّةً تدميرية كبرى «لأنها تؤدِّي إلى تقويض البنى التحتية للخصم، سواء كان ذلك على شكل مقاطعة أو احتكار وحصار أو اجتياح أو غير ذلك من الوسائل والسبُل».[٢]

ومن الزعزعة التشكيك العملي في أنَّ رسول الله ﷺ قدوة في الأفعال والأقوال والتقريرات في العقيدة وفي العبادات، والتشكيك في أنَّ كونه ﷺ قدوةً للمسلمين «لا يعني أنَّ المسلمين مضطرُّون في كلِّ الأماكن والأزمنة والظروف للالتزام بذلك النحو، على فرض أنه كان فعلاً موحَّدًا ولم يطرأ عليه أيُّ تغيير أثناء فترة الدعوة».[٣] حتى وصل الأمر إلى إنكار السنة النبوية والأحاديث الشريفة، وأنْ لا علاقة لها برسول الله ﷺ ولا بكتاب الله تعالى

(١) انظر: حسين أحمد أمين، المؤامرة والمتآمرون. ـ سطور. ـ ع ٣٣ (أغسطس ١٩٩٩م). ـ ص ١٨ ـ ٢١.

(٢) انظر: حمد بن عبدالله اللحيدان. الجذور الاقتصادية والإستراتيجية للمؤامرة. ـ صحيفة الرياض. ـ ع ١٤٥٤٣ (الجمعة ١٢/ ٤/ ١٤٢٩هـ ـ ١٨/ ٤/ ٢٠٠٨م). ـ ص ٣٥.

(٣) انظر: عبدالمجيد الشرفي. الإسلام بين الرسالة والتاريخ. ـ بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠١م. ـ ص ٦٢. نقلًا عن آمال قرامي. الإسلام الآسيوي. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٩٩.

وأنَّ التمسُّك بهما يمثِّل عصيانًا صارخًا لله ولخاتم النبيين، كما هو استنتاج رشاد خليفة.[١]

قد يأتي الحفر في الثوابت في محاولات التقليل من شأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الدين الإسلامي، والاستعاضة عنها باللهجات المحلية أو بلغة أخرى أو بإلغاء الحرف العربي، وما إلى ذلك مما تعرَّضت له اللغة العربية من زمن طويل تحت ادِّعاء تطوير اللغة وتسهيلها وتقريبها للأفهام.[٢] حتى أضحى المرء العربي في بعض الحواضر العربية يردِّد قول الشاعر:

فأصبح الفتى العـربيُّ فيهـا
غريبَ الوجهِ واليد واللسانِ
ملاعــبُ جنَّة لو سـارَ فيهـا
سُــليمانُ لســار بتُرجمـــانِ

ومما يحمد لأستاذ الأدب العربي الراحل طه حسين هو تكرار دعوته للرُّقي بالعرب إلى اللغة والأدب الرصين لا نزول اللغة والأدب إلى العامَّة.

---

(١) انظر: طه الدسوقي حبيشي. الإسلام واستمرار المؤامرة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٦.

(٢) انظر: أنور الجندي. المؤامرة على الفصحى لغة القرآن. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م. ـ ٣٢ ص. ـ (سلسلة في دائرة الضوء؛ ١٩).

يبقى التوكيد على أنَّ الثوابت في هذا الدين هي كلٌّ لا يتجزّأ، فإما أنْ تؤخذ كليةً أو تترك كليَّةً. وهي لا تقبل التجزئة أو التبدُّل. وكونها ثوابت لا يعني بحال أنها لا تقبل التطبيق في الأحوال العادية، بغضِّ النظر عن الجهة أو الزمان، كما أنها في تطبيقها ليست جامدة، إذ إنَّ مرونتها في التطبيق مما يؤكِّد على مرِّ الزمان انتهاجها من عامَّة المسلمين، دون شعور بالضيق أو التململ، فهي عبادات ومعاملات تبعث على الطمأنينة والسكون النفسي، وتستدعي المداومة.[١]

❖ **موقف التهوين:**

مع كثرة الطرح لهذا المفهوم ربَّما خشي بعض المفكِّرين العرب خاصَّةً من أنْ يفضي هذا النمط من التفكير إلى سلب الإرادة والقدرة على التفكير والتخطيط، ومن ثمَّ الاستسلام لوجود قوىً تتآمر لتقف في طريق أيِّ محاولة للخروج من الأزمات السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية، وينتج عن ذلك شلل فكري،[٢] فسعوا إلى

---

(١) انظر: الوسطية ولزوم التجديد في الدين. ـ ص ٢٧٦ ـ ٢٨٣. ـ في: سعيد بن سعيد العلوي. أدلجة الإسلام بين أهله وخصومه. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٨م. ـ ٣٥٠ ص.

(٢) انظر: فريد هاليداي. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ مرجع سابق. ـ ص ٦٣.

مقاومة استخدام المصطلح والتعرية النقدية للمفهوم،[١] وأنَّه وهمٌ تُعلَّق عليه عوامل العجز والتراجُع الذاتي؛ لأسباب داخلية بحتة لا علاقةَ مباشرةً لها بالعوامل الخارجية، ولكنهم في الوقت الذي ينفون فيه هذا المفهوم لم يحرِّروا أذهانَهم من وجوده. ومهما تطوَّر المفهوم وتطوَّرت معه وسائله ونسقه إلاَّ أنَّ غاياته والحاجة إليه ظلَّت قائمة.[٢]

«الحديث عن رفض المؤامرة التي تستهدف الأمَّة بات الموضوع الأكثر قبولاً وارتياحًا في ساحة الفكر العربي. انطلاقًا من أهمية التأسيس على الاستقراء الدقيق السياسي الصادر عن الآخر يكشف عن عمق التآمر الصادر من قبل الغرب إنْ كان في مجال فرض الهيمنة والسيطرة المباشرة الذي تكشف عنه مرحلة الاستعمار، أو في طريق الاقتطاع الخارجة عن السياق التاريخي في اغتصاب أرض فلسطين والمباركة الصادرة عن الغرب نحو الصهيونية العالمية».[٣]

---

(١) انظر: عثمان العثمان. نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية. ـ دمشق: المؤلِّف، ٢٠٠٣م. ـ ٣١٨ ص.

(٢) انظر: حمد بن عبدالله اللحيدان. الجذور الاقتصادية والإستراتيجية للمؤامرة. ـ صحيفة الرياض. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣٥.

(٣) انظر: إسماعيل نوري الربيعي. الغرب والإسلام: أضداد أم أنداد؟. ـ التسامُح. ـ ع ٥ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). ـ ص ٨٤ ـ ١١٥.

وأبعدُ من ذلك فإنَّ «الحملة الراهنة التي تُشنُّ على الإسلام تشويهًا وافتراءً، ضمن مخطَّط معادٍ للإسلام والعروبة معًا، يرسم هذه الخطط أعداءٌ لكليهما، سواء أكانوا حكوماتٍ أو مؤسَّساتٍ غربية صهيونية. وإنْ كان لكل واحد أهدافه وغاياته، وإنْ كان هناك اختلافٌ في الصور والأشكال، إلا أنَّها واحدة في المضمون. ويكاد يجمعهم سقفٌ واحدٌ في المشاركة والتنفيذ».(١) ويؤيِّد هذا النصُّ القولَ بأنَّه وإنْ اختلفت الأهداف والغايات فالمستهدف واحد.

يتَّهم المهوِّنون من شأن المؤامرة المهوِّلين من شأنها بأنهم يعطِّلون بإيمانهم المطلق بها عقولهم ويحرمونها من التفكير والتمعُّن والقدرة على التحليل وقراءة الأحداث. إنهم سلِّمون عقولهم وأذهانهم وإرادتهم إلى مجهولين في هُويَّتهم ودوافعهم وقدراتهم.(٢) إنَّ «رفض البعض أو نفيه لنظرية المؤامرة قد يكون جزءًا من المؤامرة».(٣)

---

(١) انظر: زبير سلطان قدوري. الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١: دراسة. ـ دمشق: اتِّحاد الكُتَّاب العرب، ٢٠٠٣م. ـ ص ١٢٨.

(٢) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٌ؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٧.

(٣) انظر: حسين أحمد أمين، المؤامرة والمتآمرون. ـ سطور. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨ ـ ٢١.

يقول زين العابدين الركابي: «لماذا يصُّر أقوام على نفي المؤامرة بإطلاق؟ لنفترض حسن النية فنقول: إنَّهم لا يفعلون ذلك تغطية للمؤامرة نفسها، ولا مشاركة فيها، ولا دفعًا للأعين بعيدًا عنها ولا إطلاقًا لدخَان كثيف يستر زحوف المتآمرين. لنفترض حسن النية فنقول: إنَّهم ينفون المؤامرة من أجل تصحيح طريقة التفكير في تفسير الأحداث والوقائع والمواقف. بيد أنَّ هذا النفي بإطلاق ليس مما يصحِّح طرائق التفكير، ذلك أنَّ النفي القاطع بلا دليل ولا قرينة هو نفسه تفكير خاطئ بالضبط كخطأ التفكير الذي يثبت ويجزم بلا دليل ولا قرينة. إنما يصحِّح التفكير في هذه القضية بنفي المبالغة والغلوِّ والتهويل في القول بالمؤامرة. وبنفي الغلوِّ والتهويل يتجرَّد التفكير من الخطأ والانحراف والإطلاقات، ويكتسب الصحَّة العقلانية والموضوعية في النظر إلى الأمور والأحداث والوقائع والمواقف».[1]

قد يأتي نفي المؤامرة على الإطلاق من مجه آخر رغبةً في الاتِّصاف بالثقافة، إذ قد يرى بعض المثقَّفين أنَّ من مقوِّمات ثقافتهم عدم الدخول في المبهمات والغيبيات «الميتافيزيقا»، والمؤامرة من

(١) انظر: زين العابدين الركابي. حوار حول فكرة المؤامرة. ـ اليمامة. ـ ع ١٩٥٧ (١٩/ ٥/ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٠.

المعمَّيات،[١] فيجرُّ ذلك بعض المتعلِّقين بأهداب الثقافة إلى أبعدَ من مجرَّد نفي المؤامرة.

تمَّ توظيف هذا المفهوم مع الاستعمار في حال مقاومته، وعَدَّ المستعمرون الجهاد الذي قامت الدعوة إليه لإجلاء المستعمر ضربًا من المؤامرة، بحيث قيل إنَّ «جماعات سرِّية» من «المسلمين القساة المتعصِّبين تتآمر للإطاحة بالحكم الاستعماري في كلِّ مكان عبر العالم الإسلامي عبر طقس عربيد يقوم على إراقة الدماء».[٢]

لعلَّ المقصود بهذا الطقس العربيد بهذا التعبير من وجهة نظر غير إسلامية معادية هو الجهاد في سبيل الله، الذي لم يخضع للإساءة من غير المسلمين فحسب، حتَّى صار «تهديد الكتلة الإسلامية المزعوم للسيطرة الاستعمارية واسع الانتشار ومبالغًا فيه، على غرار خوفَ الأمريكيين من «المؤامرة الشيوعية الدولية» التي يديرها الكرملين خلال خمسينيات «القرن العشرين» الماضي».[٣]

إذًا فانتشار الشيوعية إنما قام على مؤامرة، وهذا يعني أنَّ

(١) انظر: علي محمد الحبردي. المؤامرة والتكذيب. ـ الخبر: دار الحبردي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ص ٩٠.

(٢) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦٣.

(٣) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٦٣.

الاستعمار السابق والهيمنة الحالية إنَّما تتكئ على مؤامرة، مادام الأمر من أساسه يقوم على هذا المفهوم، بحيث يكون هذا الطرح في تفسير الأحداث العالمية المؤثِّرة في ضوء المؤامرة لم يجانبه الصواب، وإنْ سعى بعض المفكِّرين إلى تهوين هذا البعد، قصدًا إلى الوصول إلى أنَّ الاعتراف بوجود المفهوم لا يصل إلى زرع الوهن في فكر الأمَّة.

وهذا الدكتور راشد المبارك كان يسعى إلى التهوين من مفهوم المؤامرة لما أحدثته في فكر الأمَّة من وهن، إذ يقول: «لقد صارت هذه الكلمة نظريةً تُحشد لها كلُّ المفردات من معاجم السياسة والدين والاجتماع. وصار لهذه الكلمة أحبارها وشَّراحها والواضعون لها الحواشي والمتون والشروح والتعليقات. وإذا كان الاستعمار هو الصانع الوحيد ـ ابتداءً ـ لما عليه العرب وبقية المسلمين من ضعف وتشرذُم وتخلُّف وانقسام فإنَّ المؤامرة هي السرُّ الصانع لبقاء وديمومة وتوطين هذه الحال. إنها تمارس الحارس الأمين عليها».(١)

يضيف الدكتور راشد المبارك: «المؤامرة: هي الحاجز الصادُّ

(١) راشد المبارك. فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبَّة. ـ بيروت: دار صادر، ٢٠٠١م. ـ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

لكل نسمة والقيد المانع لكل حركة واللجام الكابح لكل انطلاقة. لقد خطَّط أعداؤنا لهذه المؤامرة وأوقعونا في شراكها وأحكموا علينا حلقاتها فلم نستطع الحراك.

لقد كُرِّرت هذه المقولة بكل الضجيج والإصرار حتى ليخيَّل للمرء أنَّ الغرب قد عطَّل كل اهتماماته وكشوفه وبعثاته الآلية والبشرية إلى خارج هذا الكوكب وانشغل عن كلِّ الأخطار التي يخشاها ويُعدُّ لها ليفرغ لمصدر وحيد يهدِّد أمنه العسكري والسياسي والاقتصادي ويدمِّر ثقافته وحضارته. ذلك المصدر الوحيد المهدِّد هو العرب والمسلمون. وفي هذا الوضع الذي يحجب الرؤية بضباب التلقين والانفعال لم نقف لنسأل: هل استطاع العرب والمسلمون مجتمعين أنْ يثأروا لأنفسهم في حقٍّ سُلب وموطن اغتُصب وشعب يعاني من أكثر من نصف قرن التشريد ويمارس بعض زعمائه استرداد حقِّه عن طريق التسوُّل والاستلطاف».[1]

ويمضي الكاتب في لهجة الاستنكار هذه للتقليل من تأثير مفهوم المؤامرة، ولكنه مع ذلك لا ينفي فكرة المؤامرة إذا فهمت بمعنى «أنَّ كلَّ أمَّة أو مجتمع أو قبيلة أو فرد يضع أو يضعون من

(١) راشد المبارك. فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبَّة. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

الخطط ما يُحقِّق سلامتهم أو قوَّتهم أو طموحهم أو مطامعهم أو تفوُّقهم».(١) ويسوِّغ لوجود المفهوم لدى من شعُر بالتهديد من أطراف أخرى.

كان هذا الموقف من هذا الكاتب قبل حدوث ما حدث يوم الثلاثاء ٢٢/٦/١٤٢٢هـ الموافق ١١/٩/٢٠٠١م، أما بعد الحدث فإن لهجته قد تغيَّرت من التقرُّب إلى الله تعالى بعداوة نظرية المؤامرة إلى قدر من الإيمان بها حينما قال في صحيفة المدينة المنوَّرة، بعد أنْ عرض لتقرير نشرته وكالة (بي بي سي أون لاين) للكاتب جستين ويب عن التديُّن على الطريقة الأمريكية: «كنتُ أعد ذلك من قبيل نظرية المؤامرة التي أتقرب إلى الله بعداوتها؛ حتى كشف تقرير بثته وكالة (بي بي سي أون لاين) تحدث فيه كاتبه جستين ويب عن التدين على الطريقة الأمريكية، حيث استهله بقوله: «أنا وزوجتي لا نعتقد في وجود الله، وخلال إقامتنا السابقة في بروكسل وسط البلجيكيين المفترض أنهم من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، لم يكن عدم الاعتقاد الديني يمثل لنا مشكلة، لكن في واشنطن تترنم إدارة بوش بالصلوات دائمًا، وتجمُّعات أداء الصلوات تُعقد ليل نهار.. الآن فقط

(١) راشد المبارك. فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبَّة. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٠٧.

وليس قبلاً يمكنني أنْ اقتنع بأنَّ احتلال العراق وما سيأتي من أجل عيون إسرائيل الكبرى. وربُّك من ورائهم محيط».(١)

❖ المؤامـرة والعـولمـة:

الذين ينفون مفهوم المؤامرة لا يخرجون عن إثبات قيام جهد ما مرتَّب لأغراضٍ معلومة لدى من يقومون بهذا الجهد المُرتَّب، ويمكن أنْ يسمَّى هذا الجهد أيَّ شيء سوى أنْ يسمَّى مؤامرة. وفي هذا مغالطة لفظية للذات وللمتلقِّي، لا تلغي وجود المفهوم وإنْ جرى التعبير عنه بألفاظ مختلفة. يقول جورج طرابيشي: «صحيح أنَّ بعض الكتاب العرب باتوا يتحاشون استعمال لفظ المؤامرة منذ شهدت الثقافة العربية نوعًا من التعرية النقدية لهذا المفهوم، ولكن منطق المؤامرة ـ وليس بالضرورة لفظها ـ هو الذي يمكن استقراؤه من خلال المرادفة السائدة في الخطاب العربي المعاصر حول العولمة، بين العولمة والإمبريالية بإطلاق، والإمبريالية الأميركية بتخصيص».(٢)

---

(١) راشد المبارك. ضرب العراق من أجل إسرائيل. ـ صحيفة المدينة المنوَّرة (١٨/ ١/ ١٤٢٤هـ).

(٢) انظر: جورج طرابيشي. من النهضة إلى الردَّة. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠م. ـ ص ١٦٨ ـ ١٧٤.

الأمثلة والنماذج التي تتحاشى اللفظ وتؤمن بالمفهوم كثيرة. وتصادف عبارات تؤكِّد عدم انصياعها لشَرَك المفهوم، ولكنها تستدرك بـ «لكن» فلا تستبعد وجود المفهوم في الحدث المراد مناقشته دون التصريح بالمفهوم.

الذين ناقشوا مفهوم العولمة من منطلق فكري وثقافي يرفضون العولمة ويرون أنَّها ذات اتِّجاه واحد، وهي لا تعدو أنْ تكون تعبيرًا ملطَّفًا لمفهوم الهيمنة والإمبريالية من طرف واحد، فمعظم هؤلاء المفكِّرين لم يستطيعوا الانعتاق من أنَّ العولمة هي شكل جديد من أشكال مفهوم المؤامرة أو لباسٌ ملطَّفٌ من ألبسة المفهوم، سواء أكان ذلك من منظور اقتصادي أم كان من منظور ثقافي، بحيث طفقنا نقرأ لمفكِّرين عرب وغير عرب تركيبات توحي بالهيمنة الغربية على بقية العالم، وإنْ بالعنف في أحيان كثيرة، حتى الثقافة نفسها لم تسلم من هذا العنف، فيتردَّد الآن في الأوساط الثقافية تركيبات مثل: «الاستعمار الثقافي» و «الهيمنة الثقافية» و «العنف الثقافي».(١)

يقول عبدالإله بلقزيز: «ليس صحيحًا أنَّ العولمة الثقافية هي

(١) انظر: عبدالإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟. ـ في: العرب والعولمة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣١٨.

الانتقال من حقبة ـ ومن ظاهرة ـ الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هي الثقافة العالمية أو الثقافة الكونية، على نحو ما يدَّعي مسوِّقو فكرة العولمة الثقافية؛ بل إنها ـ بالتعريف ـ فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات. إنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف ـ المسلَّح بالتقانة ـ فيهدر سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها عملية العولمة».(١)

ويضيف الكاتب نفسه قوله: «وإذا كان يحلو لكثيرين أنْ يتحذلقوا بإفراط في الردِّ على هذا الفهم للعولمة الثقافية، فيرجمونه بتهمة الانغلاق الثقافي أمام تيارات العصر، والدعوة إلى الانكفاء والتشرنق على الذات (والهوية، والأصالة، ومشتقَّاتها...)؛ وإذا كان يحلو لهم أنْ يعيدوا على أسماعنا مواويل الانفتاح الثقافي غير المشروط على «الآخر» للانتهال من موارده ومكتسباته وكشوفه المعرفية ... إلخ، فإنَّه يطيب لنا أنْ نلفت انتباههم إلى وجوب وعي الفارق بين التثاقُف والعنف الثقافي من جانب واحد».(٢)

---

(١) انظر: عبدالإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ ـ في: العرب والعولمة. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣١٨.

(٢) انظر: عبدالإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ ـ في: العرب والعولمة. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣١٨.

من هنا قامت الدعوة إلى رفض العولمة على اعتبار أنَّها لعبة مميتة أو مؤامرة تفضي إلى موت المثقَّف بل إلى قتله،[١] وأنَّ الحديث عن العولمة، على اعتبار أنَّها لباسٌ من ألبسة المؤامرة هو حديث عن الموت والفناء والانتحار، كما ينقل جورج طرابيشي عن الطاهر لبيب.[٢]

العولمة كأي حادث يبرز من المفكِّرين من يرى فيها الإنقاذ والخروج من المأزق الحضاري والفكري الراني على العالم كله، بما فيه المنطقة العربية، ويرى آخرون أنها استعمار جديد بلباس جديد، ولن تخرج عن كونها تعبير عن منهج للهيمنة على العالم، بدليل أنها غالبًا ذات اتِّجاه واحد، ولا تحفل بالمستهدف إلا من حيث كونه مستهدفًا.

❖ المؤامرة والقابلية:

الواضح في آثار التراجُع الحضاري أنَّها خارجية تقتضي الاستسلام لها من منطلق سلب الإرادة والقدرة على التفكير مادام

(١) انظر: اعتدال عثمان، ضد موت الإنسان. ـ سطور. ـ ع ٢٦ (يناير ١٩٩٩م). ـ ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) انظر: الطاهر لبيب. المثقف العربي وحتمية العولمة. ـ الوفاق العربي. ـ مج ١، ع ٢، (أغسطس ١٩٩٩). ـ ص ٢٠-٢١. نقلًا عن: جورج طرابيشي. من النهضة إلى الردَّة. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠م. ـ ص ١٦٨ ـ ١٧٤.

مصير الأمّة يصاغ من خارجها، ولا حيلة لأهل الداخل في هذه الصياغة سوى الانقياد، لاسيَّما مع شيوع نظرية القابلية للاستعمار التي ظهر بها مالك بن نبِّي - رحمه الله تعالى - في عبارته التي أضحت نظرية: «لكي لا نكون مستعمَرين يجب أنْ نتخلَّص من القابلية للاستعمار».[١] وينقل مراد هوفمان عن محمد أسد توكيده على وجود القابلية لدى المجتمع العربي والإسلامي للاستعمار بسبب حالة الانحطاط العلمي والفكري والغفلة السياسية التي استشرت.[٢] كما أنَّ الواضح على هذه الآثار حضور البعد العاطفي فيها، والعاطفة لا العقل هي أقرب إلى قبول مفهوم المؤامرة.[٣]

ولوج البعد العاطفي في موضوع كهذا مدعاة إلى سيطرة

---

(١) في مفهوم القابلية للاستعمار انظر مقدِّمة الطبعة الفرنسية لكتاب مالك بن نبي شروط النهضة بقلم: عبدالعزيز الخالدي، حيث ينقل عن مالك بن نبي عبارته التي أضحت نظريةً. انظر: مالك بن نبي. شروط النهضة/ ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين. - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. - ص ٩. وانظر أيضًا: إبراهيم رضا. مالك بن نبي وفلسفة الحضارة الإسلامية الحديثة. - ثقافتنا. - مج ١ ع ٢ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). - ص ١٨٥ - ١٩٦. وانظر، كذلك: حازم علي ماهر. مالك بن نبي. - المسلم المعاصر. - مج ٣٠ ع ١١٨ (رجب، شعبان، رمضان ١٤٢٦هـ - أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥م). - ص ١٦٣ - ١٨٩.

(٢) مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود. - مرجع سابق. - ص ٥٤.

(٣) انظر: شكيب أرسلان. لماذا تأخَّر المسلمون ولماذا تقدَّم غيرهم؟/ تقديم محمد رشيد رضا ومراجعة خالد فاروق. - القاهرة: دار البشير، ١٩٨٥م. - ١٦٨ ص.

الهوى. وإذا سيطر الهوى على موضوع قفز الذهن إلى التعمية في الطرح، على حدِّ قول أحد علماء المسلمين وهو عبدالرحمن بن مهدي (من كبار أئمَّة الحديث الثقات، ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م): «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم».(١) ومن ذلك «التلاعُب» بالنصوص حسب الأهواء لخدمة أيديولوجية محبطة أو عدوانية، «في حين أنَّ كبار المفسِّرين الكلاسيكيين وكبار الفقهاء أيضًا كانوا حذرين جدًّا إزاء ما يتعلَّق بمسائل حسَّاسة كالتكفير أو الدعوة إلى الجهاد أو تبرير العنف والاغتيالات، وما كانوا يلقون الكلام على عواهنه».(٢)

سبق للباحث القول في موضع آخر حول مفهوم القابلية: «إنَّ القابلية قد تولَّدت لدى العرب والمسلمين عندما أقبلتْ عليهم جحافل المستعمِرين، فقد كان العرب والمسلمون في حال من الضعف، جعل الاحتلال مسألةً مطلوبة، دعا إليها بعض العرب أنفسهم، لإخراجهم مما كانوا عليه من الضعف والهوان، حتى لقد بات المتحدِّثون عن النهضة العربية يؤرِّخون لها بالحملة

---

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام. اقتضاء الصراط المستقيم. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٥.

(٢) انظر: هاشم صالح. الانسداد التاريخي. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

الفرنسية على مصر، كما يؤرِّخ آخرون من القوميين لهذه النهضة بإلغاء الخلافة العثمانية الإسلامية في الآستانة/ إسطنبول، على يد مصطفى كمال أتاتورك.

لكن تلك القابلية لم تكن متوافرة إبَّان حروب الفرنجة (الحملات الصليبية) التسع، التي امتدَّت قرابة مئتي سنة من (٤٩١هـ/ ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)،[١] إلا أنَّها لم توفّق، بسبب ضعف القابلية أو عدمها، فكانت ممارساتٌ استفاد الصليبيون الغزاة من المسلمين المغزيِّين منها، وتعلَّموا منهم بدلاً من أنْ يُعلِّموهم».[٢]

يتراجع الباحث الآن من حيث التعبير بحالة الضعف لدى المسلمين الواردة في مطلع هذا الاقتباس، ليؤكِّد أنَّ المسلمين ليسوا ضعفاء وبينهم كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ، وإنما أُشعر المسلمون بالضعف فشعروا بالضعف. وقد تكون هذه فذلكة لغوية مؤدَّاها واحد، إلا أنَّ منطلقها مختلف.

---

(١) انظر: أمين معلوف. الحروب الصليبية كما رآها العرب/ ترجمة عفيف دمشقية. ـ الجزائر: المؤسَّسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ٢٠٠١م. ـ ٣٥٢ ص.

(٢) انظر: علي بن إبراهيم النملة. فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ص ٢٣٥.

بقي في هذا الجزء من هذه الوقفات الذكر بأنَّ استقراء ما طُرح حول هذا المفهوم بلغتي التهويل أو التهوين يعود إلى اقتناعات فكرية جرى تصنيف الناس من خلالها، فأمَّا المهوِّلون فأغلبهم من القوميين واليساريين والإسلاميين الحركيين الذين لا يحتفظون للغرب بمواقف إيجابية رغم أنَّهم قد نالوا من حضارته وتمثَّلوا شيئًا منها في حياتهم، وبعضهم عاش قسطًا من حياته بينهم، ويرون أنَّ سبب المشكلات هو هذا الموقف المتعالي من العالم «الآخر».

ومع هذا فإنَّ منطلق القوميين وبعض التحديثيين، حتى من الإسلاميين الحركيين، إنما جاء من الاغتراب عن الدين، فهم «غير متَّسقين وسطحيون فكريًّا، ورومانتيكيون، ومنجذبون بإفراط إلى بعض من أسوأ عناصر الفكر الغربي»، على رأي هاملتون جب،[١] واستيراد مفهوم القومية، المناقضة بشكل متأصِّل للإسلام، محصورة في المفكِّرين المستغربين،[٢] أو التغريبيين أو التغربُنيين، كما يسميهم عبدالإله بلقزيز.[٣]

---

(١) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٨٩.

(٢) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٨٩.

(٣) انظر: عبدالإله بلقزيز. العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣١ ـ ٣٢.

أمَّا المهوِّنون من تأثير المفهوم فأغلبهم من الليبراليين الذين يطيب لهم الزعم بأنَّهم يبحثون عن خلاص المجتمعات، ومن خلاص بعض المجتمعات في نظرهم تبنِّي توجُّهات مجتمعات أخرى ظهر عليها تفوُّقها العلمي والثقافي والفكري، فكان الجدل عند هذه الفئة أنَّ كلَّ ما يأتي من تلك المجتمعات يصبُّ في مصلحة هذه المجتمعات، وأنَّه من مصلحة هذه الشعوب أنْ تتبنَّى النموذج الغربي لتنهض وتنفض عنها غبار التخلُّف والرجعية والماضوية! التي هي بدورها في نظر هذه الفئة نتاج مؤامرة محلية للوقوف في وجه التقدُّمية والحداثة والليبرالية التقليدية والجديدة.

وربما قيل إنها ليست محلية المنشأ، وإنْ أخذت الطابع المحلي، بل هي مدعومة من جهات خارجية؛ قصدًا إلى زرع الشقاق بين أطياف المجتمعات، دون تفكير الداعم الخارجي بأنه ربما انقلب السحر على الساحر، ليمسي المدعومون مناهضين للداعمين، ما دام هذه التكتيكات تعتمد السرية والعمل في الخفاء! ومن ثَمَّ فهي غير قابلة للكشف عنها في أعمال أدبية أو فكرية، بل إنه عند الكشف عنها يخفُّ تأثيرها على العامَّة؛ لأنَّ كاشفها كان منقادًا إراديًّا لما يكشفه بعد ذلك. وكتاب محمد الدوري المستشهد به هنا أقرب مثال على ذلك؛ إذ لم يحظَ بما كان يتوقَّع له من انتشار وشهرة؛

لأَنَّه ينظر إلى مؤلِّفه من بعض المعنيين على أنه كان، وربما لا يزال، يُعَدُّ جزءً من اللعبة التي يرى أنها انتهت.

فالليبراليون على هذا التصنيف ينفون مفهوم المؤامرة من وجه وهو الوجه التغريبي، أو التغربُني «الخارجي»، أي القادم من الخارج، ويثبتونها من وجه آخر وهو الوجه «الداخلي» الذي قامت عليه ثقافة الأمَّة منذ مئات السنين، فيرون بهذا أنَّ العناصر المحلِّية التي تغلب عليها الرغبة في الاستقلالية الثقافية أولاً، ثمَّ إشاعة هذا النوع من الثقافة إلى الآخر، هذه الفئة هي التي تمارس مفهوم المؤامرة على ذاتها وعلى من حولها.

❖ **المؤامـرة والتغـريب:**

منهج التغريب، أو التغربُن، على أنَّه منقذ من منقذات التخلُّف والتراجُع الحضاري لدى المناطق النامية منهج ذو شجون، ينبئ عن حال قديمة من الانبهار أخذت مناحيَ مختلفةً في الدعوة إلى تبنِّي النموذج الغربي في كثير من الممارسات والسلوكيات إلى حدِّ المبالغة في ذلك، ومن ثمَّ فإنَّ التغريب، أو التغربُن، نفسَه يخضع لجدلية التهويل والتهوين إلى درجة القول بأنَّ الغرب، من وجهة نظر علمانية ليبرالية حداثية، لم ينهض حتى تنكَّر لماضيه وثوابته

بما في ذلك الدين، وأنَّ المجتمعات النامية بما فيها المجتمع العربي والإسلامي لم يتأخَّر إلا بسبب إصراره على الإبقاء على ثوابته القائمة على الدين،[١] الذي يحسب عليه ما يُسمَّى في فكر التنمية بنموِّ التخلُّف، حيث تزداد الدول النامية ومنها الدول العربية والإسلامية تأخُّرًا، بحيث يكون هناك عالم رابع وخامس، وليس عالمًا ثالثًا فحسب، وهنا تتردَّى التنمية البشرية إلى الناقص (-) في الوقت الذي تزداد فيه التنمية البشرية في الدول المتقدِّمة تقدُّمًا (+).[٢]

إلا أنَّ واقع الحال أنَّ ثوابت الدين لا تتحمَّل نتيجة هذا الوضع من الشعور بالتخلُّف، الذي أخذ مفهوم التلازُم بينه وبين الدول النامية في الأطروحات الفكرية التي تتغرَّب أو تجلد الذات، على اعتبار أنَّ ثوابت المجتمع العربي والإسلامي إنَّما قامت على الدين، وأيُّ عامل لا ينبثق من هذا الدين لا يُعَدُّ من الثوابت، سواء أكان منطلقه قوميًّا أم عرقيًّا أم جنسيًّا أم قبليًّا.

---

(١) انظر: رضوان السيد. مسألة الحضارة والعلاقة بين الحضارات لدى المثقفين في الأزمنة الحديثة. ـ أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. ـ ص ٩. (سلسلة: دراسات إستراتيجية: ٨٩).

(٢) انظر: جورج طرابيشي. المرض بالغرب: التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي. ـ دمشق: دار بترا، ٢٠٠٥م. ـ ص ١٨١.

على أيِّ حال فإنَّه يُنظر إلى التغريب أو التغربُن على أنه الوجه الآخر للِّيبرالية في مواجهة الإسلام والمعتقدات الدينية الأخرى، يسعى هذا الوجه إلى السماح بظهور «صفوة معلمنة تقود التغيير الداخلي نحو اعتناق القيم الليبرالية بأصولها اليهودية والمسيحية»، كما يُنقل عن برنارد لويس.[١] وإذا أُعيدت الليبرالية إلى أصول يهودية أو مسيحية أو لكليهما لم تعُد ليبرالية بالمفهوم اللغوي للمصطلح أولاً، بالمفهوم الاصطلاحي لهذه اللفظة، إذ إنَّ منبعها ومصبَّها التفلُّت من الرباط الديني.

❖ **موقف المنهج الوسط:**

نشأ عن هذين موقفي التهوين والتهويل المتطرِّفين من الطرفين ـ وكما هي العادة في المواقف المتطرِّفة ـ فريقٌ وسطٌ لم يُثبت مفهوم المؤامرة إثباتًا قاطعًا، بحيث يكون لهذا المفهوم أثرٌ في كلِّ شيء، حتى في الأحوال العادية، ولكنه في الوقت نفسه لم ينفِ وجود الأصل القائم على التخطيط المسبق ومراعاة المصالح الضيِّقة أو الواسعة بحسب النظر إليها. ولم يُغفل الدوافع الإيديولوجية والتاريخية

---

(١) انظر: مرسي الأسيوطي. دراسة مقارنة في أصول وثوابت الثقافة الليبرالية: الثقافة والحضارة، الثقافة والدولة، الثقافة وفلسفة التاريخ، الثقافة والدين والفلسفة. ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٥م. ـ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

والسياسية والاقتصادية التي تقف وراء وجود المفهوم، مدفوعة بهاجس الهيمنة والشعور المتعالي الغربي المعلن بالسعي إلى خلاص العالم بتبنِّي النموذج الغربي القائم على الديموقراطية الغربية التي تعنى بالحرِّيات، مع عدم إغفال تغلغُل الدين المصهين في الآونة الأخيرة. كما لم يتجاهل النصوص القطعية التي تؤيِّد وجود المفهوم وتحذِّر من الاستسلام له.

فالغرب مثلاً وهو يمثِّل مفهوم الهيمنة والقوَّة في هذا العصر يبحث عن مصالحه ونفوذه وهيمنته على الشعوب والأمم الأخرى؛ لشعوره بأنَّه يملك زمام الحضارة والديمقراطية والنظام العام السلس، ولذلك يسعى إلى أنْ ينشر هذه المفهومات التي تؤمِّن هذا النمط من العيش. وهذا يحتاج إلى رؤية أو تخطيط أو تنظيم أو أيِّ تعبير عن التدبير للوصول إلى هذا الهدف، مهما كانت الوسائل ومهما كانت نظرة الآخرين وتقويمها لها، ما دامت الوسيلة تحقِّق الهدف أو تسعى إلى تحقيقه، على اعتبار أنَّه هدف طويل المدى ويتحقَّق على مراحل.

حوَّل هذا الهاجس والإصرار عليه الهيمنةَ من واقع لا محيص عنه إلى وهم من الأوهام التي تغلق القدرة على التفكير في أي شيء سوى هذا الوهم الذي يوحي لـ ٤٪ من سكان العالم مئتين وستين

(٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠) نسمة بأنهم يحكمون ٩٦٪ من العالم حوالي سبعة مليارات (٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) نسمة، على طريقة مادلين أولبرايت، وزيرة الخارجية السابقة: «ليعلم الجميع أننا نفعل ما نريد ونغيِّر ما نريد، ولا تقف في طريقنا عقبة واحدة لأنَّ العالم لنا.. العالم لأمريكا».(١)

ربَّما أُقحم الدين هنا من منطلق أنَّ الدين في حال المحافظين الجُدد والمسيحية المصهينة هو المخلِّص من المصائب الدنيوية كلِّها، وربَّما كانت هذه كلمة حقٍّ أُسيءَ توظيفها، حيث يختلط هنا السياسي بالديني، وحيث يلتقي التيار الديني اليميني والتيار العلماني اليميني في دولة قامت على العلمانية وفصل الدين عن الدولة ودعت إلى ذلك وبشَّرت به وسعت إلى نشره بأساليب تفاوتت في أدائها من العنف في فرضها إلى الانتقائية في ذلك بحسب ما يعود عليها هي في نظرها الذي قد يكون قاصرًا وهي الفارضة لهذا النهج من العلمانية من مصالح.(٢)

---

(١) انظر: سعيد اللاوندي. أوهام الهيمنة. ـ ص ١٢٠ ـ ١٢٤ و١٥٧. ـ في: سعيد اللاوندي. أمريكا ـ أوروبا: سايس بيكو جديد في الشرق الأوسط، ملامح أولية لوفاق دولي جديد. ـ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م. ـ ٢٦٤ ص.

(٢) انظر: أحمد شاهين. صنَّاع الشَّر. ـ مرجع سابق. ـ ٢٠٨ ص.

آمن هذا الفريق المتوسِّط بين طرفين بوجود المفهوم من حيث السعي والتخطيط وإنْ لم يستخدم العبارة أو المصطلح «المؤامرة» أو تجنَّب استخدامها مع الإقرار بوجود فحواها، على اعتبار أنَّ جميع الحركات الإنسانية لا يمكن أنْ تنطلق دون تفكير مسبق لها، بحيث يتأكَّد أنَّ هناك أناسًا ذوي سمات محدَّدة وتفكير مشترك يجلسون على موضوع ما ويشبعونه درسًا؛ لينفذوا من خلاله إلى تحقيق هدف أو أهداف، سواء سمِّي هذا الإجراء تخطيطًا أم سمِّي مؤامرة أم أيَّ اسم يحكم هذا الإجراء.

❖ **المؤامرة والبحث:**

يقتضي هذا النمط من التفكير والتخطيط الاستعانة برهط من المفكِّرين والعلماء من خلال مراكز البحوث والأكاديميات، يمهِّدون بالدراسة والتحليل والمسح، تنتهي بتقديم تقارير وتوصيات عن الموضوع المدروس تعين على توافر فرص نجاح التدابير والمؤامرة. يُذكر هنا أنه يوجد في الولايات المتَّحدة الأمريكية أكثر من ألفي (٢,٠٠٠) مركز بحثي من بين أربعة آلاف وخمس مئة (٤,٥٠٠) مركز بحث في العالم،[1] يحتلُّ اليهود في مراكز البحث الأمريكية

(١) انظر: مصطفى عبدالغني. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م. ـ ص ١٨.

أكثر من ثلث العاملين بها، وتضمُّ جيشًا خطرًا من المفكِّرين الذين احترفوا تهييج القوَّة الأمريكية واستثارتها، حتى تندفع أبعد كلّ يَوم على طريق الحرب.(١)

تُستحضر هنا بعض المراكز البحثية العريقة ومؤسساته مثل مؤسَّسة كارنيجي للسلام ومعهد هوفر للحرب والثورة والسلام ومجلس العلاقات الخارجية ومعهد البحوث الحكومية ومعهد المشروع الأمريكي لبحوث السياسات ومركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ومؤسسة هيريتيج ومعهد بروكينجز المعروف بتوجُّهه الوسطي،(٢) ومعهد هدسون ومؤسَّسة راند (RAND) (Development and Research R & D) للأبحاث والتطوير التي بدأت فكرتها بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ومارست نشاطها سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م ومقرُّها مدينة سانتا باربرا بولاية كاليفورنيا بالولايات المتَّحدة الأمريكية،

---

(١) انظر: جيمس آلان سميث. سماسرة الأفكار/ ترجمة مجدي عبدالكريم. ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤م. ـ نقلًا عن: خلف الجراد. أبعاد الاستهداف الأمريكي. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ص ١١٥.

(٢) يذكر مصطفى عبدالغني أن ميزانية معهد بروكينجز حوالي أربعين مليون (٤٠,٠٠٠,٠٠٠) دولار، وينشر حوالي خمسين كتابًا سنويًا. انظر: مصطفى عبدالغني. المستشرقون الجدد. ـ مرجع سابق. ـ ص ٤٦ ـ ٤٧.

ويعمل بها قرابة ألف وست مئة (١٦٠٠) موظف وموظَّفة، معظمهم من الباحثين والأكاديميين. وتقوم بإجراء الأبحاث حول قضايا معاصرة ومؤثِّرة وتقدِّمها إلى صنَّاع القرار.

لا تلتزم معظم هذه المراكز بالنظرة العلمية الأكاديمية في دراساتها وتقاريرها، بل إنها مسيَّسة، وبعضها «يتبنَّى أجندة سياسية أو منهجًا حزبيًّا واضحًا، بل وتقوم بالضغط على صانعي السياسات».[١] وربما عَينت الحكومة الفدرالية ممثلاً لوكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالية في هذه المراكز البحثية والجامعات لمراقبة النشاط البحثي والأكاديمي ومواكبته كله.[٢] كما عيَّنت وزارة الدفاع مندوبًا عسكريًّا لها بثياب مدنية في هوليوود لمراقبة الأفلام الحربية التي تكون الولايات المتَّحدة طرفًا فيها، لاسيَّما أنَّ الولايات المتَّحدة أضحت في العقود الستة الماضية طرفًا في أشياء كثيرة تدور في العالم، سواء اتَّضح ذلك أم لم يتَّضح. ومع هذا فإنَّ هذه المراكز البحثية تعمل في الظاهر، ولا تخفي أبحاثها أو نتائجها عن الملأ، فلا «ضرورة تدفعها على كتمان أفكارها، أو العمل بالخفاء

(١) انظر: مصطفى عبدالغني. المستشرقون الجدد. ـ المرجع السابق. ـ ص ٤٦.

(٢) انظر: ـ مؤسَّسات للتآمر. ـ ص ٩٧ ـ ١١٤. ـ في: موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ٣٥١ ص. وانظر أيضًا: مصطفى عبدالغني. المستشرقون الجدد. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٦.

للتستُّر على معتقداتها أو توصياتها أو الأهداف التي تسعى إليها، فهي لا تحتاج إلى نوع من التآمُر، فالتآمُر ـ عادةً ـ يجري في السرِّ وفي الظلام، إلا أنَّ هذه المؤسَّسات غدت تعلن عن أفكارها وآرائها بكلِّ وضوح، ولا تهاب أيَّة ردَّة فعل قد تصدر من الجانب العربي أو الإسلامي على حدٍّ سواء».[١]

اتَّجهت دراسات مؤسَّسة راند بوضوح في الآونة الأخيرة إلى دراسة الإسلام والمنطقة العربية وإعداد تقارير عنها، ومن آخرها التقرير الذي حمل العنوان: بناء شبكات مسلمة معتدلة، وجاء في ٢١٧ صفحة ليقترح «تجنيد» مثقَّفين إسلاميين وعلماء دين مسلمين وصوفيين وعلمانيين للخروج برؤية «معدَّلة» عن الإسلام. وهي مؤسَّسة من مجموع من مئات مراكز البحوث والدراسات الإستراتيجية التي اتَّجهت إلى الإسلام والمسلمين في دراساتها من منطلقات تخدم المصالح الغربية في المنطقة. كما يُشير الدكتور باسم خفاجي مدير المركز العربي للدراسات الإنسانية. وليس بالضرورة أن تكون نتائج بحوثها عن هذه المنطقة موثوقة ومتيقِّنة.[٢]

---

(١) انظر: موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٠٥ـ.

(٢) انظر: جيمي كارتر. قيمنا المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية/ ترجمة مُحَمَّد محمود التوبة. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ص ١٦.

لا تأتي هذه المؤسَّسة بجديد حينما تسعى إلى اقتراح صورة معدَّلة عن الإسلام، فقد كانت هذه الدعوة بأسلوبها المذكور أعلاه قد صيغت إبَّان الحقبة الاستعمارية. يقول زكاري لوكمان في كتابه: تاريخ الاستشراق وسياساته على لسان أحد المنافحين عن الاستعمار: «أظن أننا يجب أنْ نناور لنقسِّم العالم الإسلامي، لنحطِّم وحدته الأخلاقية، مستعملين لهذا الغرض الانقسامات الإثنية والسياسية.. وبكلمة واحدة، لنقسِّم الإسلام، وفوق ذلك نستعمل الهرطقات الإسلامية والطرق الصوفية».(١)

يضيف المؤلِّف: «ورأى مشاركون آخرون أنَّ انتشار الأفكار والمؤسَّسات الغربية سوف يؤدِّي إلى ظهور نخب مسلمة جديدة متعلِّمة ستقبل الوصاية الغربية في الأراضي الواقعة تحت الحكم الاستعماري الأوربي، باعتبارها مفيدةً لمجتمعاتهم، كما ستشجِّع الإصلاح والتحديث التدريجيين في الأماكن الأخرى [:غير المستعمَرة ـ ت]».(٢)

يعيد ذلك إلى رؤى المستشرق الفرنسي إرنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) من أنَّ انبعاث الأراضي الإسلامية «لا يتمُّ من خلال

(١) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦٣.

(٢) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٦٤.

إصلاح الإسلام، وإنما من خلال إضعافه، من خلال تحرير المسلم من دينه الخاصّ، عن طريق التعليم أساسًا، تمامًا مثلما تخلَّى الأوربيون عن المسيحية الأرثوذوكسية وآمنوا بالعقل والعلم بدلاً منها».[1] وتتَّفق هذه الرؤية مع رؤية المخطِّطين للتنصير من السعي إلى إضعاف المسلمين في معتقدهم؛ ليتسنَّى إحلال البديل الذي قد لا يكون النصرانية بالضرورة.

على هذا يجري تصوير الشرق بأنه «بؤرة للاستبداد والتأخُّر واللامبالاة والكسل والعاطفية البلهاء، والأوهام والسحر والشعوذة واللاعقلانية واللاتاريخية، وذلك لتحقيق أهداف عديدة، منها العمل على إيجاد نخب مصنوعة بهذه الأفكار من العرب والمسلمين أنفسهم لتشكِّل منهم قواعد داخلية لهذه الأفكار من ناحية، ولكسب تأييد المواطنين الغربيين لاتِّجاهات حكوماتهم في الاستعمار والتوسُّع».[2] ومن ثمَّ ترسيخ مفهوم الهيمنة من خلال الزعم بأنَّ هذه الشعوب تتَّسم بسمات الخمول وغير المبالاة ولا تستغني عن

---

(١) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٥١.

(٢) انظر: مجمع الفقه (الهند). المسلم والآخر في بلدان الأقليَّات المسلمة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م. ـ ص ٩٠ ـ ٩٢.

مفهوم الوصاية.[١]

لا يمنع هذا التوجُّه من استغلال بعض التيَّارات الموجَّهة الأخرى كالتنصير والاستشراق السياسي والولوج من خلالها وجعلها غطاءً قانونيًّا.[٢] والمعلوم أنَّ فئةً من المنصِّرين وأخرى من المستشرقين والرحَّالة والمستكشفين لم تتردَّد في خدمة هذا التوجُّه الاستعماري الذي لم يُرضِ بعض المستشرقين كالمستشرقين الألمان، على سبيل المثال، رغم تأييدهم لمبدأ الاستعمار، لكن دون أنْ يكون له أثرٌ في التنصير، فهذا المستشرق الألماني الكبير كارل هينريش بيكر (١٨٧٦ ـ ١٩٣٣م) يعارض مؤازرة السلطات الاستعمارية للمنصِّرين في تنجانيقا الواقعة تحت الاحتلال الألماني في حينه، إذ لا يرى أن يقود الدينُ السياسةَ الاستعمارية، ولكنه يفضِّل أنْ تقود ذلك وجهات النظر الوطنية.[٣]

(١) انظر: Doulas Little. American Orientalism: The United States and the Middle East since 1945. - 3rd ed.- Chapel Hill: The University of North Carolina Press، 2008.- p. 9 -43 .

(٢) انظر: محمد ياسين عريبي. الدوافع الدينية للاستشراق في نشأته والثابتة المتجدِّدة في تطوُّر مراحله. ـ ص ٢٧٥ ـ ٣١٥. ـ في: رسالة الجهاد. ندوة الدين والتدافُع الحضاري المنعقدة في مالطا من ١٥ ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨م. ـ مالطا: رسالة الجهاد، ١٩٨٩م. ـ ٦٠٠ ص.

(٣) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦٠ .

ولوج التنصير في مسار المؤامرة لا يحتمل التعميم على الجهود التنصيرية رغم عدم الترحيب بها وعدم الموافقة على وسائلها والدعوة الملحَّة إلى مواجهتها بما يماثل وسائلها، ولكنه لا يلغي تورُّط بعض المنظَّمات التنصيرية في هذا المسار لتحقيق أغراض سياسية، قبل تحقيق الأغراض التنصيرية، كما تورَّط التنصير من قبلُ بالتحالُف مع الاستعمار. ويأتي من ذلك تمكين المتنصِّرين المواطنين من رعاية الكنيسة المحلِّية، ودعمهم من جهات سياسية واستخبارية، كما ظهر في مكاشفات «الكارشنار» الشاب التركي المسلم الذي تنصَّر ووصل في مراتبه إلى رعاية عدَّة كنائس جنوب تركيا، وعندما فتح الله عليه واهتدى بالعودة إلى دينه القويم قام «قبل أنْ يُكتم لسانه ويُخرس نهائيًّا» بفضح بعض المؤامرات التي شارك بها أثناء رعايته للكنائس جنوب تركيا.(١)

يُذكر أنَّ من التيارات الموجَّهة الأخرى الصوفية الطرقية التي يناقش موفَّق صادق العطَّار فكرة أنها مؤامرة فارسية على الإسلام حمل لواءها الصوفيون الخراسانيون الذين قادوا الحركة الصوفية وحملوا لواءها بإدخالهم مفهومات لا تمتُّ إلى عقيدة الإسلام بصلة. وقد قال

(١) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائقُ أم نظرياتٌ؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١١ ـ ١١٢.

بهذا كلٌّ من زكي مبارك وصابر طعيمة وعبدالرحمن الوكيل ومحمد أحمد الشامي وعبدالرحمن عبدالخالق وجابر رزق من المسلمين، وكلٌّ من فولك والألماني ريتشارد هارتمان (١٨٨١ ـ ١٩٦٥م) والألماني م. هورتن (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥م) من المستشرقين.(١)

يقصد بالصوفية تلك التي خرجت عن مدرسة الزهد التي كان عليها الرعيل الأول من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين، فأخذت الصوفية هذه عن المدارس الفلسفية القديمة، حيث الالتفات إلى الكشف والمعرفة والحلول والاتِّحاد، وتكوين مدارس صوفية فلسفية منها صارت لها أفكار ومفهومات ومصطلحات وتعبيرات ومعتقدات غريبة عن الدين بعيدة عن الفكر الإسلامي، مثل وحدة الوجود التي نادى بها محيي الدين بن عربي، ونظرية عبدالكريم الجيلي حول النعيم والجحيم، ومقولة الحلّاج (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) في الاتِّحاد، وآراء البسطامي (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م) في مقامات الولي، وغيرها من الأفكار.(٢)

(١) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) انظر: ـ التصوُّف كمؤامرة فارسية على الإسلام. ـ ص ٣٠٩ ـ ٣١٩. ـ في: موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ٣٥٢ ص.

إلا أنَّ موفَّق صادق العطَّار يصل، بعد مناقشة مستفيضة لمفهومات الصوفية وما أحدثته هذه الحركة من إساءة للإسلام، فتحت المجال للمستشرقين في تصيُّد هذه الإساءات وعدِّها من الإسلام، وبعد مناقشة لهذه التهمة للعنصر الفارسي وضلوعه في المؤامرة على الإسلام باستخدام الصوفية، إلى «أنَّ إلقاء صفة المؤامرة على هذا التوجُّه الفكري الصوفي هو ـ في الحقيقة ـ ابتعادٌ عن التوصيف الصحيح لهذا الميل الصوفي الراغب والمندفع نحو النزوع إلى الفلسفة للاغتناء بما أنتجته الأفكار الفلسفية لدى الآخرين، مهما كانت مشاربهم وتوجُّهاتهم، ومهما قاد هذا التوجُّه إلى جلب المعارضين الرافضين للنتائج التي حملتها الصوفية من جرَّاء هذا الميل».[1]

هنا يستحضر النصُّ الذي نقله زكاري لوكمان عن أحد المنافحين عن الاستعمار، وورد ذكره سابقًا: «أظن أننا يجب أنْ نناور لنقسِّم العالم الإسلامي، لنحطِّم وحدته الأخلاقية، مستعملين لهذا الغرض الانقسامات الإثنية والسياسية.. وبكلمة واحدة، لنقسِّم الإسلام، وفوق ذلك نستعمل الهرطقات الإسلامية والطرق الصوفية».[2]

---

(١) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣١٩.

(٢) انظر: زكاري لوكمان. تاريخ الاستشراق وسياساته. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦٣.

الوقفة الثامنة :

المؤامرة وجلد الذات

العرب ظاهرة صوتية، عبارة منسوبة إلى عبدالله القصيمي، والعرب أمَّةٌ لا تقرأ،عبارة منسوبة إلى موسى «موشيه» دايان، وزير الحرب السابق في دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة، والعرب أمَّةٌ ضحكت من جهلها الأمم. عبارة منسوبة إلى شاعر عربي، وقال آخر: يا أمةً ضحكت من عارها الأمم. هذه العبارات وغيرها مما يسير في مسارها تبرز ما ظهر في الخطاب العربي الإسلامي في مرحلة السبعينات والثمانينات والتسعينات الهجرية من القرن الرابع عشر، الخمسينات والستينات والسبعينات الميلادية من القرن العشرين من نبرة الاستخفاف بالذات وقدراتها على التفكير والتدبير والتخطيط والابتدار والابتكار.

إذا صحَّ أنَّه كانت هناك حالة، وليست ظاهرة صوتية، إبَّان الثمانينات الهجرية، الستينات الميلادية، من خلال إذاعة صوت العرب وتعليقات المذيع أحمد سعيد، وترقُّب الناس لخطابات الرئيس التي تأخذ وقتًا في إلقائها، وتلهب الحماس وتحمرُّ لها راحات السامعين من الحاضرين أو من الملتفِّين حول المذياع، مما

يدخل في مفهوم التخدير غير الطويل، إذ لا يلبث العربي حتَّى يخرج إلى واقعه فلا يجد تغييرًا من أثر تلك الخطابات.

إذا صحَّ أنَّ القيادات الإعلامية في تلك المرحلة قد اقتيدت إلى هذه الحالة، وإذا صحَّ أنَّ العرب مقصِّرون في الاطلاع والمتابعة من خلال القراءة وهم أمَّة القراءة فإنَّ هذا القدر من التقصير في القراءة والمتابعة يفضي إلى قدر من الجهل بما يدور في الكون، وهي حالات غير صحية دون شكٍّ، ومع هذا فإنَّ ذلك كلَّه لا يصبغ الأمَّة كلها ووحدها بأنها «ظاهرة» صوتية، وقد ندرت الآن إنْ لم تكن قد زالت، أو أنها تزول تدريجيًّا مع المزيد من الاطلاع والقراءة والمتابعة الإعلامية المفضية إلى المزيد من الوعي، وإنما بقيت لها آثار تحوَّلت في المحيط العربي السياسي والثقافي إلى حال من الاستخفاف بها وبمن لا يزالون ينهجونها.

على أنَّ هذه الحالات التي كانت موجودة بين العرب لا تصدق على العرب وحدهم، فهناك حالات غير عربية تتَّسم بالثورية لا تزال قائمة تنهج هذا النهج لساعات طوال في الخطابة، وساعات طوال من البثِّ الإذاعي لأصواتٍ متشنِّجة، مهما أظهرت نفسها على أنها المخلِّصة للمجتمعات من الهيمنة والرجعية والتخلُّف. وهي كذلك مدار استخفاف من تلك الفئات الواعية التي أدركت

أنَّ رفع الأصوات المنكرة تشترك فيه مع بعض بني آدم دوَّاب سخِّرت لبني آدم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٩).

يكاد التعلُّق بمفهوم جلد الذات وارتباطه بالمؤامرة بقدر عالٍ من المبالغة يقف حائلاً دون القدرة على التفكير والانطلاق في تحمُّل المسؤوليات الإنسانية والبشرية التي أناطها الإسلام بأتباعه، فيكتفي أهل الإسلام بموقف الدفاع والصدِّ بعد أنْ سيطر على العقول والأذهان تربُّص الأمم الأخرى بالإسلام والمسلمين، الأمر الذي لا يمكن نفيه، ولكنه لا يصل إلى الإعاقة الذهنية وشلِّ حركة التفكير.

الاستخفاف بالذات وجلدها يقود إلى كره الذات كما يقود إلى استخفاف الآخرين بها ومن ثَمَّ انقيادها لهم،[1] وهذا مدخل من مداخل الإيمان المطلق بمفهوم المؤامرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ (الزخرف: ٥٤). وحينما تقول العرب في الحِكَم: «استأسد الحمل لَمَّا استنوق الجمل» فإنها تقصد أنَّ «استصغار الإنسان لنفسه إنما هو الخطوة الأولى في طريق

(١) انظر: جورج قرم. المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧م. ـ ص ٣٥٤ ـ ٣٦٧.

خوفه من الآخرين، ورؤيته لهم أكبر وأقوى بكثير مما هم عليه في الحقيقة». كما يقول معتزٌّ الخطيب في موقع الملتقى الإلكتروني.(١)

من المهم الوصول بالذهن إلى التفريق الدقيق بين جلد الذات ونقد الذات وتشخيص جوانب الخلل في جسم الأمَّة سعيًا إلى علاجها. فالشعور بالبشرية لدى الإنسان التي يعتريها الضعف كما تتمتَّع بالقوَّة الذهنية والجسمية والقدرة على التفكير، بحيث يسمح بقسط وافر من نقد الذات في ضوء الثوابت التي تُستخدم معايير ومراجع للنقد، هذا الشعور الإنساني ببشرية ابن آدم يستبعد اللجوء إلى جلد الذات في ضوء تمثُّل هذه الثوابت.

استبعاد جلد الذات يستدعي استبعاد اللجوء إلى الأساليب الاعتذارية والدفاعية والتسويغية لما قد يطرأ من خلل في التعامُل مع مكوِّنات الحضارة، ومن ثمَّ فالمسلمون «بحاجة لخطاب غير اعتذاري، غير دفاعي. نحن في حاجة لخطاب ينطلق من الذات الإسلامية وخصائصها «وبمبادرة» تجاه الآخر وذلك حتى يتحقَّق التوازن في الرؤية الذي هو أساس الفاعلية».(٢)

---

(١) انظر: ـ info@almultaka.net ـ ١٥/ ٤/ ١٤٢٩هـ ـ ٢١/ ٤/ ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: ـ نادية محمود مصطفى في: حوار الحضارات: إشكالية الجدوى والفعالية. ـ (٤/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ٩/ ٥/ ٢٠٠٨م).

يمكن أنْ يكون هذا مجال بحث واستقصاء واستقراء لما كُتب في الأدبيات الفكرية العربية بعد أحداث يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ الموافق الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في كل من واشنطون ونيويورك ومكان ناءٍ من ولاية بنسلفانيا، ليبرز الأسلوب الاعتذاري والبراءة من الحدث وممن كان وراءه، والتركيز على جلد الذات في تحليل الموقف. بل ربما كان فرصةً لبعض الكتَّاب من ذوي الاتِّجاهات التي لا تتَّفق مع التوجُّه الإسلامي لأنْ يلوموا هذا التوجُّه الذي آل بالأمَّة إلى الانحطاط.

الآخر الخارجي أو الداخلي المتآمر ينتج عنه ثلاثة أمور: أولها إشاعة اليأس والهزيمة النفسية للفرد والجماعة، ومن ثَمَّ الأمَّة، وثانيها كُره الذات وحبُّ الآخر، ومن ثمَّ التعلُّق به على أنه مثلٌ أعلى،[1] وثالثها الانصراف عن نقد الذات؛ لاكتشاف عيوبها وتشخيص أمراضها وتوخِّي العلاج لها.[2] ومن ثَمَّ يفضي ذلك كله إلى شللٍ فكري جماعي، لا صوت فيه لمن يسعى إلى استيقاظ الأمَّة وجرِّها إلى الطريق القويم باستغلال إمكاناتها الفكرية والعقلية والعقدية، وإعداد القوَّة المستطاعة.

و«نرى البعض وتحت شعار «التحرُّر من عقد المؤامرة»، يريد أنْ يحصر مشاكلنا كلَّها في داخل الأمَّة وذهنيتها، حتى لا ترى الأمَّة في أعدائها خطرًا يجب التنبُّه له والحذر منه، وربَّما كان الهدف من ذلك تغريب الأمَّة وتشكيكها بدينها وقيمها».[3]

التعبير بـ«ربَّما» هنا مدخل من مداخل مفهوم المؤامرة؛ ذلك أنَّ

---

(١) انظر: سليمان الخطيب. التغريب والمأزق الحضاري. ـ [المنيا]: المؤلِّف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ـ ص ١٨.

(٢) انظر: سلامة محمد البلوي. دور حرِّية التعبير في الازدهار الحضاري. ـ شؤون اجتماعية. ـ مرجع سابق. ـ ص ٣١ ـ ٦١.

(٣) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

التعبير يوحي بعدم الثقة بالنتيجة بعدُ، وأنها قائمة على الاستنتاج الذهني القائم بدوره على قدر من التخمين لا على المعلومة الموثوقة. وهكذا تنزِع هذه الفئة من المفكِّرين إلى لوم الذات وأنها أُس المصائب التي تحيط بالأمة وسبب الإخفاقات التي تعانيها، لا دخل للآخرين الذين لا يأتي منهم إلا الخير المطلق الذي يقتضي الانفتاح عليه والتعلُّم منه حذو القذَّة بالقذَّة دون النزوع إلى التعلُّق بمفهوم الخصوصية الثقافية.(١)

يأتي جلد الذات ليؤازر نظرية المؤامرة في الدعوة إلى اليأس والقنوط والإحباط، وإنْ اختلفت الوسائل فجلد الذات نوع من النقد الهدَّام. وفي المؤامرة نوع من إلغاء الإرادة، وربما قصر الإرادة على أجهزة استخبارية جرى تضخيم آثارها. ولو كان هذا الادِّعاء صحيحًا لما انتصر العرب ومصر في حرب العاشر من شهر رمضان المبارك ١٣٩٣هـ الموافق السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م حيث قتل في هذه الحرب ما زاد عن عشرة آلاف جندي يهودي، ولما هبَّت واستمرَّت الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية التي قتل فيها من اليهود أكثر مما قتل منهم في حرب يوم الاثنين ٢٦/ ٢/ ١٣٨٧هـ

---

(١) انظر: فاروق عمر العمر. المؤامرات: حقائق أم نظريَّات؟ - مرجع سابق. - ٣٢٧ ص.

الخامس من يونيو/ حزيران ١٩٦٧م.[1] ومن هنا «فمنطق المؤامرة هو آلية أثيرة من آليات الدفاع عن الذات الجريحة والمعانية عجزًا فصاميًا عن الفعل في الواقع».[2]

من جلد الذات خداعها والبحث لها عن مؤثِّر خارجي يتحمَّل مشكلاتها والعيش على هاجس التوجُّس بتربُّص كلِّ الآخرين بنا من المحيطين بنا ومن البعيدين عنا. أضَّر هذا الشعور المبالغ فيه بالأمة ومنعها من التفكير في نقاط ضعفها وانحطاطها وتحقيق أسباب الفشل وتحديد هذه الأسباب، فانشلَّت أو كادت القدرة على المبادرة بإيجاد الحلول للخروج من هذه الأزمة.[3]

على أنَّ هذا لا ينفي وجود أعداء متربِّصين بنا من أولاء وأولئك، والوضع يتطلَّب تحديد هذه الفئة ليتحدَّد بالتالي أسلوب التعامُل معها. «إنَّه لنوعٌ من خداع الذات واستغبائها أنْ نحاول الهروب من مشاكلنا والقفز على عيوبنا وإلقاء اللوم على «الأجنبي» و «العدو» و «المستعمر»، وإنَّه لنوع من تخدير الأمَّة وتجهيلها أنْ نعمل على تبرير الاستبداد والظلم والتخلُّف الداخلي بمبرِّرات

(١) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

(٢) انظر: جورج طرابيشي. من النهضة إلى الردَّة. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٦٨ ـ ١٧٤.

(٣) مراد هوفمان. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٥.

الخارج وضرورات الصراع، وإنَّ سنَّة الله واضحة في هذا المجال. قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد: ١١). وقد قالها رسول الله ﷺ: «كما تكونوا يولَّ عليكم».[١] ولهذا فإننا مدعوّون في الدرجة الأولى للانشغال بإصلاح ما فسد من واقعنا السياسي والأخلاقي والفكري، لأنَّ ذلك يشكِّل اللبنة الأولى في بناء الذات واستعادة الدور الريادي المفقود والتخلُّص من الهيمنة والتبعية».[٢] ومن التحذير كذلك الاستسلام في الخطاب العربي والإسلامي لهاجس المؤامرة ومن الاستسلام أنْ نزرع بذور اليأس والإحباط في نفوس الناشئة.[٣]

جلد الذات برفض المؤامرة بهذا الإطلاق لا يتماشى مع واقع أنَّ هناك جهودًا تبذل، سواء أكانت مسوَّغة أم غير مسوَّغة. ويمكن

---

(١) انظر: المناوي. التيسير بشرح الجامع الصغير. حيث ورد اللفظ: كما تكونون يولَّ عليكم.

(٢) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٣) انظر: عبدالقادر طاش. خطابنا الديني ونظرية المؤامرة. ـ الحجُّ والعمرة. ـ ع ١١، مج ٥٨ (محرَّم ١٤٢٤هـ/ مارس/ إبريل ٢٠٠٣). ـ ص ٣٩.

الاستعاضة عن جلد الذات بنقد الذات، مع بيان الفرق الشاسع، مهما كان غامضًا لدى البعض، بين الموقفين. والخلط القائم بين المفهومين أدَّى إلى تعطيل نقد الذات خوفًا من جلدها في جانب، كما أدى إلى مسخ الذات واستسلامها للمؤثِّرات الجانبية بحجَّة نقدها.(١)

❖ المؤامرة وتجديد الخطاب:

من التوكيدات على نبذ جلد الذات الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني الذي يكون من مقوِّماته الأخذ بنقد الذات بدلاً من جلدها، مما يستدعي معرفة الفرق الدقيق بين نقد الذات وجلدها. يقول ناجح إبراهيم عبدالله: «إنَّ الفكر الإسلامي عمومًا ـ العربي خصوصًا ـ لن يستعيد عافيته ويسترد قواه إلا إذا تحرَّر من أسْر نظرية المؤامرة. وأدرك تمام الإدراك أنَّ المؤامرات ـ وإنْ كانت موجودة ـ ليست هي التي تغيِّر الكون وتصوغ الأحداث وحدها، ولكن إرادة الله أولاً ثم إرادة الشعوب والأمم القائمة أساسًا على تعارُض المصالح. فمن كان ضعيف الهمَّة ساقط الإرادة، فلا يتعجَّب

---

(١) انظر: ياسين سويد. مؤامرة الغرب على العرب: محطَّات في مراحل المؤامرة ومقاومتها. ـ بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٩٢م. ـ ص ١٤ ـ ١٥.

إنْ سار الكون على عكس مصالحه وهو يراوح في مكانه. وأولى به وأجدر أنْ يلوم نفسه ويوبِّخها بدلاً من أنْ يلقي باللوم على شمَّاعة المؤامرة. لذلك كان مطلوبًا من الخطاب الديني الجديد أنْ يرسِّخ في نفوس المسلمين التأمُّل في سنَّة «التغيير» الكونية».[١]

اللوم على الغرب ومخطَّطاته لا يبرئ النفس من الإسهام في هذا الحال الذي وصلت إليه الأمَّة بوجود أجواء مكفهرَّة وتوتُّرات مستمرَّة، فما «كان لعدونا هذا أنْ ينجح لو لم نيسِّر ونمهِّد له طريق النجاح لغزونا، والتحكُّم بمقدَّراتنا».[٢] «والخطاب الديني ينبغي عليه أنْ يرفض أسلوب «جلد الذات» كما يرفض نظرية المؤامرة على حدٍّ سواء، فالخير في أمَّة محمد ﷺ إلى قيام الساعة».[٣]

الخيرية على وجودها إنما تقوم على أذهان صافية متحرِّرة من أوهام القيود ذات الطابع التآمري، متَّصفة بالكياسة والفطنة، فلا تستسلم لمفهوم المؤامرة تهويلاً، ولا تُثبت إثباتًا مطلقًا بأنَّ هذه التدبيرات الموجودة هي التي تتحكَّم بالكون على أنَّه أحجار على

---

(١) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

(٢) انظر: سميح عاطف الزين. عالمية الإسلام ومادية العولمة. ـ بيروت: العالمية للكتاب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ص ٢٩٥.

(٣) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني. ـ المرجع السابق. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

رقعة الشطرنج، وأنه يُدار على طريقة الحكومة الخفية،(١) بحيث يلغي هذا الهاجس الإرادة والقدرة على عمارة الكون، ويمسخ الإمكانات الذاتية والمكتسبة في التصدِّي لبعض قوى الشرِّ التي لا تسعى إلى سعادة البشرية ورفاه المجتمعات. ولا تتجاهل هذا المفهوم تهويناً، فلا تنفي نفيًا مطلقًا وجود تدبيرات ذات أهداف معلنة أو غير معلنة. والأهداف غير المعلنة هي التي تعين على تبنِّي مفهوم المؤامرة والتصديق بأنَّها واقع لا ينبغي التغافُل عنه.

«وليعلم الدعاة والمربُّون أنَّ جلد الذات لا يفيد، بل إنَّه يعوق الإنسان عن السير إلى الله. بل إنَّه يحول حسنات الإنسان إلى سيئات، ويجعل الإنسان يظلم نفسه وأمته ووطنه ولا يرى فيهم إلا المساوئ والعيوب. لذا كان لزامًا على الخطاب الديني أنْ يستنبت في نفوس الأمَّة آلية النقد الذاتي البناء. ويعلِّم أبناءها فقه محاسبة النفس. فذلك هو السبيل الصحيح لتقويم المسير والخروج بالأمَّة من محنتها العصيبة».(٢)

---

(١) تأمَّل إنْ شئت مفهومًا من مفهومات الحكومة الخفية في: ديفيد وايز وتوماس روس. الحكومة الخفية/ ترجمة جورج عزيز. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م. ـ ٤٣٢ ص.

(٢) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

هناك اجتهادات تضع معالم في طريق تجديد الخطاب الديني، يتحتَّم فيها ألا تغفل انطلاقته من التوحيد وجوهره الذي لا يحدُّه زمان ولا مكان، وكون هذا الخطاب عالميًا ملمًّا بالأبعاد الحقيقية للحركة السياسية والثقافية والفنية والاقتصادية التي تجتاح العالم، وكونه موحَّدًا في مواجهة العولمة الهمجية، رافضًا للحروب والصراعات المادِّية والعرقية، وكونه مؤيِّدًا لكلِّ ما من شأنه نصرة الحقِّ، وكونه طليعيًّا في المحافظة على البيئة الطبيعية في شتَّى مظاهرها، وكونه مع إدارة الأمانة الاقتصادية على وجهها الصحيح، وكونه مع خير الإنسان أوَّلاً وأخيرًا.[1]

من تجديد الخطاب الديني التجديد في وسائل هذا الخطاب، واستغلال مفهومات جديدة لم تكن تلقى الترحيب من قبلُ، كالعناية بالفنِّ واستغلاله في الإصلاح والتغيير والدعوة والتبليغ، على اعتبار أنَّ «هناك الكثير من الفنون المباحة. وهي من الوسائل المشروعة في الدعوة والتبليغ»،[2] مما يقتضي المبادرة والسبق في

(١) انظر: سميح عاطف الزين. عالمية الإسلام ومادية العولمة. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٧٧ ـ ٢٩٧.

(٢) انظر: مسفر بن علي القحطاني. قراءة فقهية في دلالات الفن على التغيير والإصلاح. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٦٤٧٩ (السبت ١٢/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ١٧/ ٥/ ٢٠٠٨م). ـ ص ٣٢.

مجال الفنون الجميلة وجعلها مجالاً للتنافُس بين الشباب، دون اللجوء إلى هذا التوجُّس الذي فوَّت فرصًا كان من الممكن الإفادة منها في هذا المجال الحيوي.[1]

ينظر إلى نظرية المؤامرة على أنها أسوأ نظرية تعوق العقل العربي والإسلامي عن الانطلاق، وتحدُّ من قدراته على التصدِّي للمشكلات والتغلُّب عليها. وهي تعمل على إلغاء إرادة الأمَّة وتنمِّي إرادة كل أحد ممن يناصبون العروبة والإسلام العداء. وتنظر إلى العلاقات الدولية على أنها جزء من التآمُر، وليس فيها نزوع إلى تلاقي المصالحِ لا تعارضها. ومن أبرز هواجس هذه النظرة أنهَّا تعوَّل على العوامل الخارجية في تفسير كل مآسي الأمَّة، وتتجاهل أخطاءها الإستراتيجية، على الرغم من أنَّ كبوة ألأمَّة لا تكمن بالضرورة في قوَّة أعدائها بقدر ما هي كامنة في إشعار الأمَّة بالضعف مما يفضي إلى تراجُع أثرها بسبب من تهاوُنها في دينها.

يؤكِّد عبدالرحيم بوهاها هذا المنحى لدى الإسلاميين الحركيين بقوله: «إنَّ عقلية المؤامرة الظاهرة في خطاب الإسلاميين جعلتهم ينظرون إلى الواقع وإلى التاريخ انطلاقًا من مصادرة أولية هي

---

(١) انظر: مسفر بن علي القحطاني. قراءة فقهية في دلالات الفن على التغيير والإصلاح. ـ صحيفة الحياة. ـ المرجع السابق. ـ ص ٣٢.

أنَّ المسلمين ضحية عمل مدبَّر ومخطَّط يهدف إلى محاربة الإسلام وإضعافه لصالح الصليبية والدعوات الإلحادية».(١) ثم يلجأ مؤلف الإسلام الحركي إلى نبرة جلد الذات حينما يقرِّر أنَّ هذا الموقف «يحمل من علامات السذاجة واللاعقلانية الشيء الكثير فإنه يندرج في إطار رؤية مانوية اختزالية للكون، لا ترى فيه إلا خيرًا مطلقًا أو شرًّا مطلقًا وتربط بين المادِّي والروحي ربطًا قويًّا فتجعل الإيمان أساس التقدُّم والخير، والكفر والجاهلية أساس الذُّل والشرور مجتمعة».(٢)

مرَّ في رحلة المفهوم أنه كان من إشكاليات المفهوم عدم القدرة على الوصول إلى التفريق لدى بعض الناس بين الخير والشرِّ، فيكون الفرق نسبيًا مبنيًّا على سوء الفهم. والأصل في الخطاب الإسلامي التفريق بين الخير والشرِّ وبين الحقِّ والباطل، وليس هناك خير نسبي وشرٌّ نسبي، وليس هناك كذلك حقٌّ نسبي كما أنَّه ليس هناك باطلٌ نسبي. فالحقُّ حقٌّ والباطلُ باطلٌ كما أنَّ الخير خيرٌ والشرَّ شرٌّ، لا يختلف بين الثقافات. ولا نهاية للخير كما لا نهاية للشرِّ في الحياة الدنيا، خلافًا لمن توقَّع ذلك بالتخلُّص من محور

---

(١) انظر: عبدالرحيم بوهاها. الإسلام الحركي. ـ مرجع سابق. ـ ص ١٢٢.

(٢) انظر: عبدالرحيم بوهاها. الإسلام الحركي. ـ المرجع السابق. ـ ص ١٢٢.

الشرِّ أو محاوره أو القضاء عليها.

على هذا فإنَّ الساحة الفكرية العربية والإسلامية ليست متفرِّدةً في هذا الهاجس، بل يمكن القول إنَّها بهذا الطرح القوي مستوردةٌ له من ضمن ما استوردت من أفكار قد لا تتَّفق بالضرورة مع المنهج الإسلامي في التفكير القائم على التثبُّت من المعلومة والبُعد عن كثير من الظنِّ الذي بعضه إثم. «والوقوع في نظرية المؤامرة ليس خاصًّا بمجتمع دون مجتمع، ولا ثقافة دون ثقافة، فأينما وجد الوعي المنحرف، وصاحبه الشكُّ والعجز وجدت نظرية المؤامرة».(١)

ربَّما نبعت الحساسية من المصطلح «المؤامرة» لدى المهوِّنين من خلال كثرة ترديده من قِبَل المهوِّلين وإلصاقه بأي تطوُّر سلبي أو إيجابي يحدث في العالم، وعزوه إلى قوىً شرِّيرة خفيَّة تسعى إلى هدم هذا الكون والمساس بطبيعة الحياة، فأضحى هذا المنهج جزءً من الخطاب الثقافي الذي ربَّما سمَّاه بعض المفكِّرين بالخطاب الديني، ودعا مع آخرين إلى تجديد هذا الخطاب وتنقيته من عوالق كان لها أثر في مسار التفكير إلى درجة الاتِّكال عليها. يقول مصطفى

(١) انظر: عبدالله الصبيح. نظرية المؤامرة مرَّةً أخرى. ـ منارات. ـ ع ٧ (ربيع الثاني ١٤٢٦هـ ـ مايو ٢٠٠٥م). ـ ص ٢٩.

الفقي: «إنَّ فقه المؤامرة في العقل العربي هو جزء من طريقة التفكير التي درجنا عليها وتشكَّلت منها ثقافتنا عبر العصور، فأصبحنا لا نفكِّر بأخطائنا قبل أنْ نفكِّر بما فعله غيرنا، لذلك فإنني اعتقد أنَّ عملية الإصلاح الشامل ستحتوي في إطارها العقلَ العربيَّ بأبعاده المختلفة والتراكُمات التاريخية فيه».[١]

يَذكر الشيخ حسين الخشن أنَّه «مما يلاحظ به على الخطاب الإسلامي، أنَّه خطاب تتحكَّم به عقدة المؤامرة؛ هذه العقدة التي حوّلت عقلية بعض الإسلاميين إلى عقلية منكمشة ومنغلقة على التآمر والخيانة، وتحمَّل الكلمات مالا تتحمَّله، وتحكم على أساس النوايا بدل الوقائع، وهذه الذهنية فرضت نفسها على خطاب الكثير من الإسلاميين وصبغته بلونها، فغدا خطابًا تشكيكيًا عدوانيًا إقصائيًا».[٢]

ظهرت دعوة تلاقفتها الأقلام العُجلى حول تجديد الخطاب الديني. واكتنف هذه الدعوة هاجس التوجُّس عند النظر إلى مصدرها، والتوجُّس مفتاح من مفاتيح الشعور بوجود المؤامرة.

---

(١) انظر: مصطفى الفقي. العرب من نظرية المؤامرة إلى فكر الحريَّات. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٦٣٨٤ (الثلاثاء ٥/ ٢/ ١٤٢٩هـ/ ١٢/ ٢/ ٢٠٠٨م). ـ ص ١٥.

(٢) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

فالذين ينطلقون فيها من منطلقات تأصيلية بحتة يدعون إلى تجديد الخطاب الديني من واقع اقتناعهم بأنَّ المرحلة تستدعي توظيف وسائل في الخطاب تختلف عن تلك الوسائل التقليدية وربَّما تؤازرها، على اعتبار أنَّ الوسائل تتجدَّد وتتغيَّر وتقبل التطوير، دون المساس بالأصول والثوابت والمستقرَّات التي لا تقبل التحريف أو التغيير في ذاتها بحكم كمالها من الله تعالى ورضاه عزَّ وجلَّ بها للأمَّة. قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).

هناك من يخشى الفكرة بحجَّة أنها قد تؤول إلى التحريف، كما قد تؤول إلى أنْ تكون شعارًا للتخلِّي عن بعض الثوابت في الدين، ولذلك حذَّر بعض العلماء من المصطلح.[1] إلا أنه «لا تزال هناك شخصيات تجديدية تحتفظ برزانتها الشرعية واستقلالها السياسي وينتصب أمامها المرء بإجلال صادق ـ وهم كثير ولله الحمد ـ إلا أننا يجب أنْ نعترف وبكل وضوح أنَّه قد تطوَّر الأمر بكثير من

(١) انظر: محمد أمين ناشر النعم. من ينابيع التجديد في الفكر الإسلامي: رينيه غينيون، علي بيجوفيتش، محمود عكَّام. ـ حلب: فصِّلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ص ٢٧ ـ ٢٩.

أقلام الخطاب المدني إلى مآلات مؤلمة تكاد عيون المراقب تبيَّض من الحزن وهو يشاهد جموحها المتنامي».[١]

تستهوي هذه الأطروحات العُجلى فئة من الشباب المولعين بالثقافة من أسرع أبوابها، وهو خطاب نشط ومتنامٍ من هؤلاء الشباب الذين يحضون «بحفاوة المؤسَّسات الإعلامية من صحف وفضائيات وغيرها، حيث ستظل فرص الشاشة والعمود الصحفي مشهدًا خلاَّبًا لا تقاومه غريزة تحقيق الذات المتوقِّدة بداية العمر فيرضخ المثقف/ الشاب لشروطها ليحتفظ بها».[٢]

ولعلَّ «أبسط مقتضيات الوفاء والحب لهؤلاء الشباب هو المبادرة بالمصارحة بمخاطر هذه التطوُّرات، علَّنا نستعيد وعيَنا في زحام السجال، ونستيقظ من أنْ تتجارى بنا مغاضبة الخصوم ومشاحنة الفرقاء إلى خدش علاقتنا بالله ورسوله وخسارة رأسمالنا الحقيقي».[٣]

(١) انظر: ابراهيم السكران. مآلات الخطاب المدني. ص ٢. ـ iosakran@yahoo.com ـ (٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ٨/ ٥/ ٢٠٠٨م).

(٢) انظر: ابراهيم السكران. مآلات الخطاب المدني. ـ المرجع السابق. ـ ص ٤.

(٣) انظر: ابراهيم السكران. مآلات الخطاب المدني. ـ المرجع السابق. ـ ص ٤.

يتوصَّل أحد الذين يريدون شحذ الهمم إلى أنَّه إنْ كانت مؤامرة حقيقة فهي نابعة من الداخل من خلال وجود خلل في النظام العام، ومنه النظام السياسي والنظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي. فهو هنا يقرُّ بوجود المؤامرة في الوقت الذي يسعى فيه إلى أنْ يهوِّن من تأثيرها إنْ رئيت على أنها تدبيرات خارجية. وبذلك يؤكِّد «أنَّ الخطاب الإسلامي أو بالأحرى خطاب الإسلاميين، يعاني من اختلالات متعدِّدة، وأصيب بإخفاقات ليست قليلة حالت دون نجاحه في مهمَّته الرسالية، وكان من أبرز هذه الإخفاقات اختلال سلم الأولويَّات لدى منتجي هذا الخطاب. ونرى من واجبنا أنْ نرصد نقاط ضعف أخرى في مضمون الخطاب وجوهره، و«القول الليِّن» هو أسلوبه وعنوانه».(١)

الواضح في الخطاب الإسلامي المعاصر تغليبه الجانب السياسي في معظم القضايا التي تمرُّ بها الأمَّة، من منطلق المقولة العربية: إنَّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.(٢) وهو قول

---

(١) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠.

(٢) نقله ابن شبَّه في تاريخ المدينة المنورة عن عثمان بن عفَّان t وعزاه ابن عبدالبرِّ وابن الأثير، وفي كنز العمَّال للبرهان فوري (٥:١٥٧): عن عمر، وصيغته عنده: والله ما يزع الله بسلطان أعظم مما يزع بالقرآن، وهو ليس بحديث.

حقٌّ إذا لم يبالغ في إطلاقه على كل شيء، بحيث يُنفى دون قصد تأثير القرآن في تقديم الحلول دون تدخُّل السلطان في كلِّ صغيرة وكبيرة. فللسلطان أثره الذي لا يُغفل، وللقرآن أثره الذي لا يُنكر.

❖ **تطوير الدين:**

يدخل في ذلك التنبُّه في ضوء تجديد الخطاب الإسلامي إلى محاولات تمييع الدين وإقحام مفهومات علمانية وتغريبية فيه، وتطويعه للتوجُّهات المعاصرة كالاشتراكية والشيوعية والعولمة والبحث عنه فيها لا البحث عنها فيه،[١] وحتمية «اندماج جوهر الإسلام مع تحدِّيات القرن الحادي والعشرين»، بحجَّة تحويل الإسلام إلى دين ذي حركة «ديناميكية»، على غرار ما يدعو إليه القس وعالم اللاهوت السويسري هانز كونيج في محاضراته عن الإسلام من إيجاد إسلام معاصر، يقف في طريق تنويره بعض

(١) كلما ظهرت فورة فكرية أو سياسية طفق بعض المخلصين من العرب والمسلمين إلى إلصاقها بالإسلام، فقالوا بشيوعية الإسلام وباشتراكية الإسلام وبحداثة الإسلام وبعولمة الإسلام وهكذا وكأنَّ الإسلام بحاجة إلى ما يعضده من الأفكار التي تبحث عن مخرج للأزمات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي تمرُّ بها شعوب هذا الزمان.

المسلمين المشوَّشين، على رأي القس كونيج،[١] وإنْ كان لا يتجاهل البعد الديني في الإسلام، ويحذِّر من اختلاطه بالبعد الدنيوي، دون محاربة العلم والتقانة على غرار ما قامت به الكنيسة، والإسلام في سبيل الحداثة والتطوير ليس ملزمًا بتكرار أخطاء أوروبا المسيحية.[٢]

الذين ينطلقون من منطلقات غير مؤصَّلة يدعون إلى تمييع الدين من خلال الحفر في ثوابته ومستقرَّاته، بما في ذلك اتِّباع الخطاب الاعتذاري التسويغي الذي يتمسَّح بالفكر التغريبي، دون التعبير بهذه المضمونات بالضرورة، وبالتالي كان هناك تنبيه، كأيِّ فكرة حادثة تُعرض على هاجس التوجُّس، إلى مغزى الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني بحسب منشئها وما يعلق بها من مقاصد حتى لا تؤخذ الأمَّة على حين غرَّة من أمرها. فتقبل منها الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني من منطلق تأصيلي، ويرفض منها تلك الدعوة التي تنطلق من منطلقات تحريفية لثوابت هذا الدين.[٣]

---

(١) انظر: الإسلام رمز الأمل. ـ ص ٥٥ ـ ٨٠. ـ في: هانز كونج. القيم الأخلاقية المشتركة للأديان: الإسلام رمز الأمل/ ترجمة رانيا خلاف. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م. ـ ٨٣ ص.

(٢) انظر: هانز كونج. القيم الأخلاقية المشتركة للأديان. ـ المرجع السابق. ـ ص ٦١ ـ ٦٢.

(٣) انظر: محمد بن شاكر الشريف. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف. ـ الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ١٥٢ ص. ـ (سلسلة كتاب البيان، ٦٠).

هذا وإنْ كان للتوجُّس ما يسوِّغه إلا أنه لا ينبغي أنْ يسيطر على كلِّ جديد يطرأ على وسائل الاتصال المعرفي، بما في ذلك وسائل الخطاب الديني خوفًا من أنْ يكون هذا الطارئ يحمل في دواخله مكيدة أو مكرًا، أي خوفًا من أنْ تكون الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني قد نشأت من منطلق تآمري يسعى إلى تحريف الدين وصياغته بما يتَّفق مع مصالح الأعداء وتوجُّهاتهم إلى إعادة تفسير الدين الإسلامي من منطلقات تحريفية، على طريقة مؤسَّسة راند البحثية الآتي ذكرها في هذا السياق.(١)

من التجديد في الخطاب الإسلامي في أيامنا هذه الدعوة إلى العودة إلى أصول الدين التي قد يكون الفكر أو التقصير في الفكر قد تجاهلها دون قصد بالضرورة، ولكن نتيجة خمول في التفكير حال دون مواصلة الاجتهاد في الدين في النوازل التي تطرأ في الكون والحياة. والاجتهاد كما هو معلوم مصدر فاعل من مصادر التشريع الإسلامي، لا يتوقَّف إلا بعوامل ضعف العلم لدى المسلمين بالاكتفاء بما خلَّفه لنا السلف الصالح من رؤى اجتهادية، يوجد في الأمة اليوم من يملك القدرة والتأهيل للحذو

---

(١) يتردَّد بعض المعنيين بالفتوى والدعوة في الظهور في قنوات الاتِّصال، ويتحرَّجون من ذلك بحجَّة خلط هذه القنوات بين الجدِّ والهزل، وميلها إلى اللهو أكثر.

حذو أولئك العلماء الأفذاذ. فالعلم الشرعي لم يتوقَّف عند زمان، ولم يكن مقصورًا يومًا ما على فئة من العلماء. هذا دون مصادرة لجهود العلماء السلف والخلف، ودون استخفاف باسم التجديد بما خلَّفوه من تراث علمي يعكس مدى ما كانوا عليه من قدرات علمية لا غنى عنها في زماننا هذا. وهكذا تكون النظرة المتوازنة لمفهوم الاجتهاد في الدين.[١]

وقد تكون هذه المنطلقات التحريفية، من وجه آخر، قد نشأت بفعل التأثُّر بالطرح الاستشراقي الذي عَلَق بالفكر الإسلامي في مرحلة من مراحل الالتفات إليه، فقد «تبنَّى مستشرقو المادية التاريخية كل الكزاعم الشعوبية للحركات المناهضة للإسلام، وحاولوا صياغة هذه المزاعم في منهج زعموا أنه منهج لتفسير التاريخ الإنساني، وطبَّقوه على التاريخ الإسلامي».[٢] وكانت لهذا المنهج الاستشراقي آثاره بعيدة المدى، مما أنشأ بعض العوالق الدخيلة على مفهوم الفكر الإسلامي المؤصَّل.

---

(١) انظر: زكي الميلاد. الإسلام والتجديد: كيف يتجدَّد الفكر الإسلامي؟. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م. ـ ص ٢٣٩ ـ ٢٨٢.

(٢) انظر: أحمد الحفناوي. حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٦٧ ـ ٥٦٨.

من هذه العوالق مفهوم المؤامرة يقول ناجح إبراهيم عبدالله: «ومن أهم ملامح الخطاب الديني الجديد ألاَّ تكون لغته خاضعة لنظرية المؤامرة فهو لا يتبنَّى هذه النظرية لا في تفسير الوقائع التاريخية ولا في تحليل الأحداث الجارية. فهذا الخطاب يدرك بدقَّة موازين القوى في عالمنا. ويفهم جيِّدًا سنن الكون والحياة، ويعلم أنَّ العالم لا يخلو من التآمر والكيد والتخطيط، فهذا أمر طبيعي. وليس من الغريب أنْ يسعى كل كيان لتحقيق مصالحه ولو على حساب الآخرين فهذا معهود ومعروف في عالم الحياة والسياسة ولا يجهله أحد. ولا يعتبر المؤامرة هي العامل الوحيد المتحكِّم في حركة الحياة.

ولا يجعل من المؤامرة شمَّاعة جاهزة يعلِّق عليها المسلمون عجزهم وقعودهم عن فكِّ شفرة الكون من حولهم. ويبرِّرون بها تراجُعهم الحضاري وضعف إرادتهم أمام عزم وإرادة أعدائهم. فالخطاب الديني لا يفضِّل دغدغة المشاعر بهذه النظرية لينفض المسلمون أيديهم عن أيِّ مسئولية. ويعفوا أنفسهم من أيِّ لوم أو تقصير تجاه دينهم وحضارتهم وأمَّتهم».[١] مما يؤول إلى التراجُع الحضاري لدى المسلمين، وليس بالضرورة الانحطاط

(١) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني/ راجعه كرم محمد زهدي وآخرون. ـ القاهرة: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٤م. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

الحضاري.(١)

التراجُع الحضاري عند المسلمين وضعف الإرادة وسلبها له أسبابه التي يعيدها بعض المعنيِّين كلها إلى أسباب «داخلية»، ويوصلها إلى عشرة أسباب لا علاقةَ مباشرةً لمفهوم المؤامرة فيها. وإنَّما يُستحضر المفهوم دون النصِّ عليه صراحة عند بحث آثار التراجُع الحضاري التي قد تصل إلى ثمانية آثار أو تزيد، يأتي من بينها أو كلها آثارٌ تدور حول مفهوم المؤامرة دون التصريح به، من مثل تربُّص أعداء الأمَّة بها والخضوع لنفوذ الأعداء والاحتلال والانتداب والحماية والوصايا والاستعمار والصهيونية الاحتلالية وقيام دولة اليهود في فلسطين المحتلَّة والغزو الفكري وضرب حركات الإصلاح والتجديد.(٢)

---

(١) يعبِّر بعض الكتَّاب عن التراجُع الحضاري بالانحطاط الحضاري. وقد شاع كتاب أبي الحسن علي الحسني الندْوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ويتحدَّث هاشم صالح عن أسباب الانحطاط الحضاري للعالم العربي والإسلامي. انظر: هاشم صالح. الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٧م. ـ ص ٦٥ ـ ٦٩.

(٢) انظر: علي عبدالحليم محمود. التراجُع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلُّب عليه. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٤٥٦ ص.

الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

الخاتمة

الخلاصة والنتيجة

مع بروز الحديث عن وجود مؤامرة في الفكر العربي الإسلامي تُحاك ضدَّ البشرية وتكرار هذا الحديث، واستيلائه على أذهان بعض المفكِّرين، ظهرت ردود الفعل المتفاوتة حول قبول مفهوم المؤامرة ورفضه. فالذين قبلوا المفهوم بقدر واضح من التهويل وجدوا فيه الملاذ الذي يمكن أنْ يكون مسوِّغًا للإخفاقات التي مرَّت بها الأمَّة، فأعطى هذا الفريق لمفهوم المؤامرة قدرات خارقة لا يمكن أنْ تكون صحيحة على إطلاقها، كان لهذا الموقف أثره على القدرة على التفكير والإبداع الذهني.

ورفض آخرون مفهوم المؤامرة جملة وتفصيلاً، وناحوا باللائمة على الذات أو على الداخل في تحمُّل ما يعصف بالأمة من محن. «الحديث عن رفض المؤامرة التي تستهدف الأمة بات الموضوع الأكثر قبولاً وارتياحًا في ساحة الفكر العربي. انطلاقًا من أهمية التأسيس على الاستقراء الدقيق السياسي الصادر عن الآخر يكشف عن عمق التآمر الصادر من قبل الغرب إنْ كان في مجال فرض الهيمنة والسيطرة المباشرة الذي تكشف عنه مرحلة الاستعمار، أو في طريق

الاقتطاع الخارجة عن السياق التاريخي في اغتصاب أرض فلسطين المباركة الصادرة عن الغرب نحو الصهيونية العالمية».[١]

رفض المؤامرة بهذا الإطلاق لا يتماشى مع واقع أنَّ هناك جهودًا تبذل، سواء أكانت مسوَّغة أم غير مسوَّغة. ورفض المؤامرة بهذا الإطلاق أفضى إلى جلد الذات والتهوين من الإمكانات الكامنة والقدرات الذهنية والعقلية والفكرية المطمورة تحت ركام هذا الهاجس. ويمكن الاستعاضة عن جلد الذات بنقد الذات، مع بيان الفرق الشاسع، مهما كان غامضًا لدى البعض، بين الموقفين. والخلط القائم بين المفهومين أدَّى إلى تعطيل نقد الذات خوفًا من جلدها في جانب، كما أدى إلى مسخ الذات واستسلامها للمؤثِّرات الجانبية بحجَّة نقدها.

من التوكيدات على نبذ جلد الذات الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني الذي يكون من مقوِّماته الأخذ بنقد الذات بدلاً من جلدها مما يستدعي معرفة الفرق الدقيق بين نقد الذات وجلدها.

من سمات تجديد الخطاب الديني الترفُّع عن جلد الذات كما

---

(١) انظر: إسماعيل نوري الربيعي. الغرب والإسلام: أضداد أم أنداد؟. ـ التسامُح. ـ ع ٥٠ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م). ـ ص ٨٤ ـ ١١٥.

الترفُّع عن الاستسلام لعقدة المؤامرة بهذا الشكل من الاستسلام.[١] ولا مقارنة هنا بين التوكيد على رفض أسلوب جلد الذات ابتداءً والاستعاضة عنه بالتكثيف في أسلوب نقد الذات، ورفض نظرية المؤامرة ابتداءً، إذ إنَّ الرفض ابتداءً يعيدنا إلى نقطة الصفر في الولوج إلى حيِّز التهوين من وجود شيء يسعى بعضنا إلى نفي وجوده ولو من باب شحذ الهمم واستبعاد هاجس الاستسلام المفضي إلى قتل المواهب والآمال والطموحات، ونفي وجود المؤامرة لا يلغي وجودها على أرض الواقع.

لابُدَّ من مواجهة حقيقة أنَّ هاجس المؤامرة هذا الذي نما وترعرع في عقول أبناء الأمَّة قد تمَّت تغذيته على يد كثير ممن مارسوا منهج جلد الذات واستحضروا تأثير الآخر وقوَّته في هذا التأثير من أولئك المتحمِّسين للتيارات القومية والإسلامية الحركية، دون إغفال كون هؤلاء من المخلصين لأمَّتهم الصادقين في عاطفتهم نحوها، إلا أنَّ الإخلاص لا يكفي إنْ لم يقترن بالصواب، والصواب عندنا في الاتِّباع.

أفضى استحضار هذا الأسلوب في التفكير إلى عجز الشباب

(١) انظر: ناجح إبراهيم عبدالله. تجديد الخطاب الديني. ـ مرجع سابق. ـ ص ٨٠ ـ ٩١.

عن القدرة على تحليل ما يدور حولهم تحليلاً سليمًا، وإلى ضعف تحديد ما يجري حولهم وأسبابه بدقَّة توصلهم إلى الحكم الدقيق على ما يجري بمقاييس علمية ثابتة.[١]

ينبغي رفض هذا الشعور على أنه يمثِّل المفهوم السلبي الطاغي لعقدة المؤامرة؛ لأنَّ التماشي مع هذا المفهوم يؤدِّي بالأمَّة إلى الانكماش على ذاتها، ويبعث فيها الإحباط واليأس والقنوط، وربما امتدَّت آثاره إلى اهتزاز الثقة بالذات وإمكاناتها وما لديها من طاقات يمليها عليها الدافع من وجودها وهو عبادة الله تعالى بعمارة الأرض والاستخلاف عليها، فتستبدل الاستخفاف بالاستخلاف، وينتج عن الاستخفاف بالذات كرهُها، كما ينبغي رفض هذا الشعور عندما يفضي بالأمَّة إلى أنْ تتغاضى عن رؤية مشاكلها وتتجاهل عيوبها، «لترمي بكل تخلُّفها وهزائمها على عاتق الآخرين دون أنْ تفتِّش في نقاط الضعف المستشرية في جسدها».[٢]

لابُدَّ من إعطاء مساحة ذهنية للأحقِّية في التخطيط والتدبير فيما يرى المخطِّطون والمدبِّرون أنه في مصلحتهم، بغضِّ النظر

(١) انظر: عثمان العثمان. نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية. ـ دمشق: المؤلِّف، ٢٠٠٣م. ـ ٣١٨ ص.

(٢) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف. ـ مرجع سابق. ـ ص ٢٥٨.

عن تبعات هذا النوع من التخطيط والتدبير، إذ إنَّ الحكم عليه بالصواب أو الخطأ إنما هو حكم نسبي يصدر عادة عن المستهدف من ذلك التخطيط والتدبير، وتمليه المرجعية الثقافية التي تفرِّق بين الحق والباطل والخير والشرِّ من منطلقات متأصلة في الإنسان نفسه القادر على التفريق بين هذه «الثنائيات» المتضادَّة، التي قد تغيَّب عن هذه النظرة المتأصِّلة بفعل الخلل في التفكير.

التنبُّه والحذر والكياسة والفطنة سمات مطلوبة في كل إنسان ينتمي لهذا الدين، بل هو مطلب إنساني عام، ومن ذلك والعمل على إعداد القوَّة وتشخيص نقاط الضعف سعيًا إلى سدِّها، هذا الأسلوب في الاستعداد والإعداد لا يُعَدُّ من المؤامرة، بل هو «وعي وبصيرة، وإنَّ تعميم فكرة المؤامرة لذلك هو نوع من التآمر».(١)

لا ينبغي أنْ يفضي نقد نظرية المؤامرة إلى إصدار صكوك البراءة عن أحد الطرفين المهنيين بالمؤامرة: المستهدِف والمستهدَف. فكلا البراءتين لا تتماشيان مع وجود المفهوم، بل وتناميه مع تنامي إمكانات المستهدِف وتململ المستهدَف ليقظته وتنبُّهه وتصدِّيه لما يحاك ضدَّه. «ما كنَّا نرغب في التعبير عنه وتوضيحه هو التذكير

(١) انظر: الشيخ حسين الخشن. الإسلام والعنف. ـ المرجع السابق. ـ ص ٢٦٠.

بضرورة عدم المبالغة في اعتماد نظرية المؤامرة إلى هذا الحدِّ الذي يعزي كل الهزائم العربية إلى عامل المؤامرة، وضرورة تبيان مدى خطأ الذهاب إلى ذلك الحدِّ عند توصيف كلِّ هذه الهزائم والنكبات».[(١)]

ربَّما كان هذا هو المنهج الوسط الذي يؤمن بالمفهوم من حيث المبدأ والقدرات البشرية على التآمر والدوافع لذلك، ولكنه في الوقت ذاته يضعه في مكانه الطبيعي من حيث المعالجة، واعتباره من تلك القضايا التي لا ينبغي أنْ تُغفل، دون إفراط في الاستسلام للمفهوم، بحيث يصبح الناس أسرى لهذا المفهوم، فتتعطَّل قدراتهم على التفكير، ويصابون بالإحباط واليأس، ودون تفريط في تغافُله وتجاهُله، وبالتالي تجاهُل أثره على الأمَّة، بحيث تُصَمُّ الآذان والأذهان عن حقائق واقعية تمليها أغراض مختلفة، منها المصالح الآنية، ومنها الأبعاد الثقافية، ومنها ما يخدم الشيطان في مسيرته المستمرَّة لإغواء بني آدم حاشا المخلَصين منهم على مرِّ الدهور والأزمان.

---

(١) انظر: ـ موفَّق صادق العطار. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟. ـ مرجع سابق. ـ ص ٥٤.

تُختم هذه المناقشات بعبارة لعالم شرعي بسط المسألة المختلف فيها، لا عليها، بسطًا تقعيديًّا فيه نزعة إلى النظرة الأصولية بالمفهوم الإسلامي الإيجابي للأصولية، ومن خلالها يقترح الباحث الموقف من مفهوم المؤامرة من حيث القبولُ والرفضُ، حيث يذكر سامي ابن عبدالعزيز الماجد أنَّه «لا يجوز أنْ يضيع صوت الحق والعدل بين لغط الجافي والغالي، وإذا فُسِّر موقف الغالي بأنه ردٌّ فعل للجافي، وأنَّ موقف الجافي هو ردٌّ فعلٍ للغالي فإنَّ موقف العقل المسترشد بنور الشريعة لا يجاوز موقف الإنصاف والعدل، حيث يكون التجرُّد عن الأهواء، وحيث يكون التعالي عن المؤثِّرات الخارجية. ذاك نهجه في كلِّ قضيَّة، فهو لا يعرف الحقَّ بالرجال، ولا يكتم الحق إغاظةً للأعداء».(١)

المؤمَّل من هذه الوقفات أنْ تكون قد أسهمت في ترسيخ هذا المنهج الوسطي الذي يختاره الباحث في التعامُل مع هاجس المؤامرة في الفكر العربي الإسلامي من خلال المناقشات التي تعرَّضتْ لها.

***

(١) انظر: ـ سامي بن عبدالعزيز الماجد. الوسط و"اللغط" في الاختلاط. ـ الحياة. ـ ع ١٦٥٢٠ (الجمعة ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٨ ـ ٢٣/ ٦/ ١٤٢٩هـ). ـ ص ٧.

❖ المراجع :

١ .أبوفخر، صخر، عارض. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد.ـ الاجتهاد.ـع ٤٩ (شتاء ٢٠٠١م/ ١٤٢١ـ١٤٢٢هـ). ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٨٠.

٢ .أحمد، مكرم محمد. مؤامرة أم مراجعة: حوار مع قادة التطرُّف في سجن العقرب.ـ ط ٢ .ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ٢٤٠ ص.

٣ .أدهم، علي. مؤامرة كاتيلين.ـ العربي.ـع ٥٩ (جمادى الآخرة ١٣٨٦هـ/ أكتوبر ١٩٦٦م).ـ ص ٦١ ـ ٦٧.

٤ .أرسلان، شكيب. لماذا تأخَّر المسلمون ولماذا تقدَّم غيرهم؟/ تقديم محمد رشيد رضا ومراجعة خالد فاروق. ـ القاهرة: دار البشير، ١٩٨٥م. ـ ١٦٨ ص.

٥ .إسبوزيتو، جون. الإسلام والغرب عقب ١١ أيلول/ سبتمبر: حوار أم صراع حضاري؟. ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م.ـ ٤٤ ص.ـ (سلسلة محاضرات الإمارات، ٧٤).

٦ .الأسيوطي، مرسي. دراسة مقارنة في أصول وثوابت الثقافة الليبرالية: الثقافة والحضارة، الثقافة والدولة، الثقافة وفلسفة التاريخ، الثقافة والدين والفلسفة.ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٥م.ـ ٤٦٤ ص.

٧ .الأصفهاني، نبيه، عارض. المؤامرة أو أمريكا تحترق.ـ السياسة الدولية. ـع ١٧ (يوليو ١٩٦٩م).ـ ص ١٦٥ ـ ١٦٩.

٨ .الإمام، محمد بن عبدالله. المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة. ـ صنعاء:

دار الآثار، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ـ ٣٨٣ ص.

٩. أمين، حسين أحمد ، المؤامرة والمتآمرون. ـ سطور ع ٣٣ (أغسطس ١٩٩٩م). ـ ص ١٨ ـ ٢١.

١٠. باناجة، سعيد محمد أحمد. نظرة حول المؤامرات الدولية اليهودية وأصل الثورات والحروب الأهلية والعالمية والأزمات الاقتصادية والسياسية والتكتُّلات الحزبية المادِّية اليسارية واليمينية. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ١٥٨ ص.

١١. البحراوي، سيد. موت المثقف أم قتله؟. ـ سطور . ـ ع ٣٣، (أغسطس ١٩٩٩). ـ ص ٤١ ـ ٤٣.

١٢. بدران، علي. القدس والاستعمار الكولونيالي: العروبة في مقابل الجدار الديموغرافي. ـ دمشق: اتِّحاد الكتَّاب العرب، ٢٠٠٦م. ـ ١٠٩ ص.

١٣. بروكرز، ماتياس. المؤامرة ٩/ ١١: نظريات المؤامرة وأسرار ٩/ ١١/ ترجمة وتحقيق كاميران حوج. ـ كولن: منشورات الجمل، ٢٠٠٥. ـ ٢٢١ ص.

١٤. بسيوني، محمد إبراهيم. المؤامرة الكبرى: مخطَّط تقسيم الوطن العربي مّن بعد العراق؟. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م. ـ ١٨٤ ص.

١٥. بكري، مصطفى ومحمود بكري. العراق: المؤامرة، الخيانة، الاحتلال. ـ القاهرة: الأسبوع للصحافة والطباعة والنشر، ٢٠٠٣م. ـ ٣٢٣ ص.

١٦. بلقزيز، عبدالإله. العرب والحداثة: دراسة في مقالات الحداثيين. ـ بيروت: مركز دراسة الوحدة العربية، ٢٠٠٧م. ـ ١٧٦ ص.

١٧ . بلقزيز، عبدالإله. العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟. ـ ص ٣٠٩ ـ ٣٣٩ . ـ في: العرب والعولمة. ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م. ـ ٥١٥ ص.

١٨ . البلوي، سلامة محمد. دور حرِّية التعبير في الازدهار الحضاري. ـ شؤون اجتماعية (جامعة الشارقة). ـ ع ٨٨ (شتاء ٢٠٠٥م). ـ ص ٣١ ـ ٦١ .

١٩ . البنَّا، رجب. صناعة العداء للإسلام. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٣م، ـ ٤٦٤ ص.

٢٠ . بونداريفسكي. الغرب ضدَّ العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا/ ترجمة إلياس شاهين. ـ موسكو: دار التقدُّم، ١٩٨٥م. ـ ٤١٥ ص.

٢١ . بوهاها، عبدالرحيم. الإسلام الحركي. ـ بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م. ـ ١٦٨ ص. ـ (سلسلة الإسلام واحدًا ومتعدِّدًا).

٢٢ . بينا ـ رويث، هنري. ما هي العلمانية؟/ ترجمة ريم منصور الأطرش، مراجعة جمال شحيِّد. ـ دمشق: المؤسسة العربية للتحديث الفكري، ٢٠٠٥م. ـ ٢٦٢ ص.

٢٣ . تاجا، وحيد، محرِّر. الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م: حوارات فكرية. ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٣م. ـ ٣٠٤ ص.

٢٤ . ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣ـ١٣٢٨م). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم/ تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل. ـ ط ٧. ـ الرياض:

المحقق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ص ٨٥.

٢٥. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ/ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م). مجموع فتاوى شيخ الإيلام ابن تيمية/ جمعها ورتَّبها عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ومحمد بن عبدالرحمن بن قاسم. ـ ٣٧ مج. ـ الرياض: مكتبة العبيكان. ـ ٢٨: ٢٠٧ـ.

٢٦. الجابري، محمد عابد. العولمة تستهدف الدولة والأمة والوطن. ـ الشرق الأوسط. ـ،(٧/ ٢/ ١٩٩٧). ـ ص ١٠.

٢٧. جاد، أحمد، مراجع ومقدِّم. بروتوكولات حكماء صهيون. ـ المنصورة: دار الغد الجديد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ١١٢ ص.

٢٨. الجراد، خلف. أبعاد الاستهداف الأمريكي. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٤٨ ص.

٢٩. جمعة، سعد. المؤامرة ومعركة المصير. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨م. ـ ٢٧٠ ص.

٣٠. الجندي، أنور. المؤامرة على الفصحى لغة القرآن. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م. ـ ٣٢ ص. ـ (سلسلة في دائرة الضوء؛ ١٩).

٣١. حارب، سعيد (المهيري). حقوق الإنسان في العلاقات الدولية الإسلامية. ـ الاجتهاد. ـ ع ٥٢ و٥٣ (خريف وشتاء العام ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م/ ١٤٢٢هـ). ـ ص ١٣٣ ـ ١٨٥.

٣٢. الحبردي، علي محمد. المؤامرة والتكذيب. ـ الخبر: دار الحبردي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ١٠٤ ص.

٣٣. حبيشي، طه الدسوقي. الإسلام واستمرار المؤامرة: الخداع والتضليل/ تقديم محمود حمدي زقزوق. ـ القاهرة: المؤلف، ١٩٨٨م. ـ ١٤٤ ص.
٣٤. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ـ ١٣ مج. ـ رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي وقام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب. ـ بيروت: دار المعرفة، د. ت. ـ ٨:٥١٢
٣٥. حسين، طه وآخرون. العدوان الثلاثي على مصر. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦م. ـ ١٧٦ ص.
٣٦. الحفناوي، أحمد. حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٥٩٠ ص.
٣٧. الخشن، الشيخ حسين. الإسلام والعنف: قراءة في ظاهرة التكفير. ـ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م. ـ ٣٠٢ ص.
٣٨. الخطيب، سليمان. التغريب والمأزق الحضاري. ـ [المنيا]: المؤلِّف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. ـ ١٧٤ ص.
٣٩. داود، محمد عيسى. سُر المؤامرة: حتَّى لا يُضرب العراق والسدُّ العالي بالقنبلة النووية. ـ القاهرة: مدبولي الصغير، ٢٠٠٢م. ـ ٣٤١ ص.
٤٠. الدباغ، مصطفى. الإسلام فوبيا Islamophobia: عقدة الخوف من الإسلام. ـ ط ٢. ـ عمَّان: دار الفرقان، ٢٠٠١م/ ١٤٢٢هـ. ـ ١٤٩ ص.
٤١. الدوري، محمد. اللعبة انتهت: من الأمم المتَّحدة إلى العراق محتلًّا/ أجرى الحوار جورج فرشخ. ط ٢. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي،

٢٠٠٤م.ـ ٢٨٦ ص.

٤٢. دولة، محمد علي. لتفسدُنَّ في الأرض مرَّتين. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ٣٤٤ ص.ـ (صفحات في اليهوديات).

٤٣. دياب، محمد حافظ. تعريب العولمة: مساءلة نقدية.ـ قضايا معاصرة.ـ (أكتوبر ١٩٩٩).ـ ص ١٥١.

٤٤. الراغب الأصفهاني، أبوالقاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ). المفردات في غريب القرآن/ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني.ـ القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.ـ ص ٢٥.

٤٥. الربيعي، إسماعيل نوري. الغرب والإسلام: أضداد أم أنداد؟. ـ التسامُح.ـ ع ٥٠ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).ـ ص ٨٤ ـ ١١٥.

٤٦. رزق، جابر. المؤامرة على الإسلام مستمرَّة.ـ ط ٢.ـ الإسكندرية: دار الدعوة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.ـ ١٨٤ ص.

٤٧. رزق الله، مهدي. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ. ـ ٩٢٨ ص.

٤٨. رضا، إبراهيم. مالك بن نبي وفلسفة الحضارة الإسلامية الحديثة. ـ ثقافتنا.ـ مج ١ ع ٢ (شتاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).ـ ص ١٨٥ ـ ١٩٦.

٤٩. الركابي، زين العابدين. حوار حول فكرة المؤامرة.ـ اليمامة.ـ ع ١٩٥٧ (١٩/ ٥/ ٢٠٠٧م).ـ ص ١٠.

٥٠. الرميحي، محمد. خطاب المؤامرة وتغييب العقل.ـ النهار.ـ (الثلاثاء

١٨/ ٦/ ٢٠٠٢م).
٥١. روا، أوليفييه. أوهام ١١ أيلول: المناظرة الإستراتيجية في مواجهة الإرهاب. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٣. ـ ١١٨ ص.
٥٢. روبرتسون، رونالد. العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية/ ترجمة أحمد محمود ونورا أمين، مراجعة محمد حافظ يعقوب. ـ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م. ـ ٤٣٤ ص. ـ (المشروع القومي للترجمة؛ ٧٨).
٥٣. الزين، سميح عاطف. عالمية الإسلام ومادية العولمة. ـ بيروت: العالمية للكتاب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م. ـ ٣٠٠ ص.
٥٤. سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق/ ترجمة محمد عناني. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٦م. ـ ٥٦٠ ص.
٥٥. سعيد، جودت. لِمَ هذا الرعب كله من الإسلام؟. ـ دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦م. ـ ٦٤ ص.
٥٦. السكران، ابراهيم. مآلات الخطاب المدني. ـ iosakran@yahoo.com (٣/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ٨/ ٥/ ٢٠٠٨م).
٥٧. السلُّومي، مُحَمَّد بن عبدالله. ضحايا بريئة للحرب على الإرهاب. ـ [لندن: المنتدى الإسلامي]، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٣٠٤ ص. ـ (سلسلة كتاب البيان؛ ٦٣).
٥٨. سميث، جيمس آلان. سماسرة الأفكار/ ترجمة مجدي عبدالكريم. ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤م. ـ

٥٩. سويد، ياسين. مؤامرة الغرب على العرب: محطّات في مراحل المؤامرة ومقاومتها. ـ بيروت: المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٩٢م. ـ ٤٠٧ ص.

٦٠. السيد، رضوان. مسألة الحضارة والعلاقة بين الحضارات لدى المثقفين في الأزمنة الحديثة. ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. ـ ٦٦ ص. ـ (سلسلة: دراسات إستراتيجية: ٨٩).

٦١. شارت، هاري. الديموقراطية الجديدة: بدائل لنظام جديد/ ترجمة عبدالرحمن أيّاس. ـ بيروت: العالمية للكتاب، ٢٠٠٣م. ـ ٢٥٤ ص.

٦٢. شاهين، أحمد. صنّاع الشّر. ـ القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤م. ـ ٢٠٨ ص. ـ (سلسلة اقرأ؛ ٦٩٥).

٦٣. الشريف، محمد بن شاكر. تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف. ـ الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ١٥٢ ص. ـ (سلسلة كتاب البيان، ٦٠).

٦٤. الشقيري، مصطفى فرغلي. في وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١٦٨ ص.

٦٥. الشناوي، فهمي. المؤامرة على إسقاط الخلافة العثمانية. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، د. ت. ـ ٥٩ ص.(*)

(*) معظم الذين بحثوا في سقوط الخلافة العثمانية لم يتجاهلوا بروز نظرية المؤامرة وأثر الماسونية في ذلك.

٦٦. صالح، هاشم. الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟.ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٧م.ـ ٣٠٤ ص.

٦٧. الصبيح، عبدالله. نظرية المؤامرة مرَّةً أخرى. ـ منارات. ـ ع ٧ (ربيع الثاني ١٤٢٦هـ ـ مايو ٢٠٠٥م).ـ ص ٢٩.

٦٨. الصبيح، عبدالله. نظرية المؤامرة والوعي السياسي. ـ منارات. ـ ع ٦ (ربيع الأول ١٤٢٦هـ ـ إبريل ٢٠٠٥م).ـ ص ٨٠.

٦٩. صحيفة الحياة. ـ ع ١٥٩٩٥ (الجمعة ٣٠/ ١٢/ ١٤٢٧هـ الموافق ١٩/ ١/ ٢٠٠٧م).

٧٠. صفدي، مطاع. دور العولمة إمبريالية المطلق.ـ الوفاق العربي.ـ مج ١، ع ٢، (أغسطس ١٩٩٩).ـ ص ٢٤.

٧١. طاش، عبدالقادر. خطابنا الديني ونظرية المؤامرة.ـ الحجُّ والعمرة.ـ ع ١١، مج ٥٨ (محرَّم ١٤٢٤هـ/ مارس/ إبريل ٢٠٠٣).ـ ص ٣٩.

٧٢. طرابيشي، جورج. المرض بالغرب: التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي.ـ دمشق: دار بنرا، ٢٠٠٥م.ـ ١٨٤ ص.

٧٣. طرابيشي، جورج. من النهضة إلى الردَّة. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٠م.ـ ١٩٢ ص.

٧٤. العالم، محمود أمين. جدل البدايات والنهايات. ـ سطور .ـ ع ٣٣، (أغسطس ١٩٩٩).ـ ص ٤-٧.

٧٥. عبدالحكيم، منصور. مؤامرات وحروب غيَّرت العالم صنعتها الماسونية للسيطرة على العالم. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٣٦٧ ص.ـ (سلسلة حكومة العالم الخفية؛ ٦).

٧٦. عبدالغني، مصطفى. المستشرقون الجدد: دراسة في مراكز الأبحاث الغربية. ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧م. ـ ١٧٤ ص.

٧٧. عبدالله، ناجح إبراهيم. تجديد الخطاب الديني/ راجعه كرم محمد زهدي وآخرون. ـ القاهرة: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٤م. ـ ١٣٢ ص.

٧٨. عثمان، اعتدال، ضد موت الإنسان. ـ سطور. ـ ع ٢٦ (يناير ١٩٩٩م). ـ ص ١٤ ـ ١٥.

٧٩. العثمان، عثمان. نقد نظرية المؤامرة في تفسير الهزائم القومية والإسلامية. ـ دمشق: المؤلِّف، ٢٠٠٣م. ـ ٣١٨ ص.

٨٠. عريبي، محمد ياسين. الدوافع الدينية للاستشراق في نشأته والثابتة المتجدِّدة في تطوُّر مراحله. ـ ص ٢٧٥ ـ ٣١٥. ـ في: رسالة الجهاد. ندوة الدين والتدافُع الحضاري المنعقدة في مالطا من ١٥ ـ ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨م. ـ مالطا: رسالة الجهاد، ١٩٨٩م. ـ ٦٠٠ ص.

٨١. العطار، موفَّق صادق. نظرية المؤامرة أوهمٌ أم حقيقة؟ (الصوفية). ـ دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٦م. ـ ٣٥٢ ص.

٨٢. العلوجي، عبدالكريم. تراجيديا إعدام رئيس عربي. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٢٠٨ ص.

٨٣. العلوجي، عبدالكريم. الأعمدة السبعة للمستقبل العربي. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٢٨٧ ص.

٨٤. العلوي، سعيد بن سعيد. أدلجة الإسلام بين أهله وخصومه. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٨م. ـ ٣٥٠ ص.

٨٥. العليان، عبدالله. الإسلام والغرب ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م. ـ ٢٠٧ ص.

٨٦. العمر، فاروق عمر. المؤامرات: حقائق أم نظريَّات؟ ـ د. م.: المؤلِّف، ٢٠٠٧م. ـ ٣٢٧ ص.

٨٧. عنان، محمد عبدالله. تاريخ المؤامرات السياسية وتطوُّراتها الاجتماعية والقانونية من أقدم العصور إلى أحدثها. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٨م. ـ ٢٧٨ ص.

٨٨. عودة، محمد. لا عولمة بل أمركة. ـ في: ندوة العولمة المضادة بإدارة عبدالمنعم تليمة. ـ سطور. ـ ع ٣٣، (أغسطس ١٩٩٩). ـ ص ٤٥.

٨٩. الغامدي، سعيد بن ناصر. تطاول المنافقين على الثوابت. ـ ص ٥٠٣ ـ ٥٧٠. ـ في: مجلة البيان ومبَرَّة الأعمال الخيرية بالكويت. مؤتمر تعظيم حرمات الإسلام. ـ الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٨٠٩ ص.

٩٠. غليون، برهان. الوطن العربي أمام تحدِّيات القرن الواحد والعشرين ـ تحدِّيات كبيرة وهمم صغيرة. ـ المستقبل العربي. ـ ع ٢٣٢، (حزيران/ يونيو ١٩٨٨). ـ ص ١٤.

٩١. فرج، السيِّد أحمد. المؤامرة على المرأة المسلمة: تاريخ ووثائق. ـ ط ٣. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٢٣٨ ص.

٩٢. الفقي، مصطفى. العرب من نظرية المؤامرة إلى فكر الحريَّات. ـ صحيفة الحياة. ـ ع ١٦٣٨٤ (الثلاثاء ٥/ ٢/ ١٤٢٩هـ/ ١٢/ ٢/ ٢٠٠٨م). ـ ص ١٥.

٩٣. فوزي، طارق. المؤامرة: البروتوكول الخامس والعشرون من بروتوكولات حكماء صهيون. ـ المنيا: دار الأحمدي للنشر، ٢٠٠٦م. ـ ٢٧٢ ص.

٩٤. فولر، جراهام. السياسة الأمريكية تجاه الإسلام السياسي. ـ أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٤م. ـ ٤٤ ص. ـ (سلسلة محاضرات الإمارات، ٨٥).

٩٥. فون بولوف، أندرياس. الـ سي آي أي C.I.A. و١١ أيلول ٢٠٠١: الإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات./ ترجمة عصام الخضراء وسليمان الخالدي. ـ دمشق: الأوائل، ٢٠٠٥م.

٩٦. فيرساي، أندريه. ستون عامًا من الصراع في الشرق الأوسط: شهادات للتاريخ بطرس بطرس غالي وشيمون بيريز. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م. ـ ٤٢٤ ص.

٩٧. القاسم، الإسلام والمؤامرات اليهودية. ـ الكويت: مكتبة المنار، ١٩٩٠م.

٩٨. قدوري، زبير سلطان. الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١: دراسة. ـ دمشق: اتّحاد الكُتّاب العرب، ٢٠٠٣م. ـ ٢٢٣ ص.

٩٩. قرامي، آمال. الإسلام الآسيوي. ـ بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦م. ـ ٢٠٧ ص.

١٠٠. قرم، جورج. المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين. ـ بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧م. ـ ٤٠٧ ص.

١٠١. القحطاني، مسفر بن علي. قراءة فقهية في دلالات الفن على التغيير

والإصلاح.ـ صحيفة الحياة.ـ ع ١٦٤٧٩ (السبت ١٢/ ٥/ ١٤٢٩هـ ـ ١٧/ ٥/ ٢٠٠٨م).ـ ص ٣٢.

١٠٢. القصيبي، غازي عبدالرحمن. أمريكا والسعودية: حملة إعلامية أم مواجهة سياسية؟!.ـ ط ٤.ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م.ـ ١٣٥ ص.

١٠٣. كارتر، جيمي. قيمنا المعرَّضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية/ ترجمة مُحَمَّد محمود التوبة.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ٢٢٤ ص.

١٠٤. كامل، مجدي، مقدم. مايلز كوبلاند وكتابه لعبة الأمم: القصَّة الدامية لاختراق أنظمة الحكم العربية.ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م.ـ ٣٧٤ ص.

١٠٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. السيرة النبوية.ـ ٤ مج.ـ بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٠٦. كريسب، غاي ساليوستي. مؤامرة كاتيلينا/ ترجمة محمد بدرخان.ـ دمشق: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م.ـ ١٤٨ ص.

١٠٧. الكفري، محمد عبدالحميد. العلاقات السرية بين اليهودية والماسونية والصهيونية.ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.ـ ٢٣٩ ص.

١٠٨. كونج، هانز. القيم الأخلاقية المشتركة للأديان: الإسلام رمز الأمل/ ترجمة رانيا خلاف.ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م.ـ ٨٣ ص.

١٠٩. كيرتش، جوناثان. حكايا محرَّمة في التوراة/ ترجمة نذير جزماتي.ـ

دمشق: نينوى، ٢٠٠٣م. ـ ٤٠٣ ص.

١١٠. اللاوندي، سعيد. الإسلاموفوبيا: لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟!. ـ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م. ـ ٣٢٠ ص.

١١١. اللاوندي، سعيد. أمريكا ـ أوروبا: سايس بيكو جديد في الشرق الأوسط، ملامح أولية لوفاق دولي جديد. ـ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م. ـ ٢٦٤ ص.

١١٢. لبيب، الطاهر. المثقف العربي وحتمية العولمة. ـ الوفاق العربي. ـ مج ١، ع ٢، (أغسطس ١٩٩٩). ـ ص ٢٠-٢١.

١١٣. اللحيدان، حمد بن عبدالله. الجذور الاقتصادية والإستراتيجية للمؤامرة. ـ صحيفة الرياض. ـ ع ١٤٥٤٣ (الجمعة ١٢/ ٤/ ١٤٢٩هـ ـ ١٨/ ٤/ ٢٠٠٨م). ـ ص ٣٥.

١١٤. اللمعي، عبدالسلام حمدي. المؤامرة الكبرى على العروبة والإسلام والإنسانية عبر مراحل التاريخ. القاهرة: الدار العالمية، ٢٠٠٤م. ـ ٥٢٣ ص.

١١٥. لوكاريه، جون. خيوط المؤامرة/ ترجمة وتحقيق مروان سعد الدين. ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧م. ـ ٣٤٩ ص.

١١٦. لوكمان، زكاري. تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط/ ترجمة شريف يونس. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧م. ـ ٤٢٨ ص.

١١٧. لويس، برنارد. الإسلام وأزمة العصر: حرب مقدسة وإرهاب غير

مقدس/ ترجمة أحمد هيكل. ـ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م. ـ ١٧٤ ص. ـ (سلسلة المشروع القومي للترجمة؛ ٧٤١) .

١١٨ . الماجد، سامي بن عبدالعزيز. الوسط و «اللغط» في الاختلاط. ـ الحياة. ـ ع ١٦٥٢٠ (الجمعة ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٨ ـ ٢٣/ ٦/ ١٤٢٩هـ). ـ ص ٧.

١١٩ . ماهر، حازم علي. مالك بن نبي. ـ المسلم المعاصر. ـ مج ٣٠ ع ١١٨ (رجب، شعبان، رمضان ١٤٢٦هـ ـ أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ٢٠٠٥م). ـ ص ١٦٣ ـ ١٨٩.

١٢٠ . المبارك، راشد. فلسفة الكراهية: دعوة إلى المحبَّة. ـ بيروت: دار صادر، ٢٠٠١م. ـ ٢٣٨ ص.

١٢١ . مجمع الفقه الإسلامي (الهند). المسلم والآخر في بلدان الأقليَّات المسلمة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م. ـ ٢٣٢ ص.

١٢٢ . محمود، علي عبدالحليم. التراجُع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلُّب عليه. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ٤٥٦ ص.

١٢٣ . المدرس، علاء الدين. المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام: الأسباب الخفيَّة لاغتيال عمر وعثمان وعلي والحسين ونشأة السبئية والخوارج. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م. ـ ٢٠٠ ص.

١٢٤ . المسيري، عبدالوهَّاب. الجمعيات السريَّة: البروتوكولات، الماسونية، البهائية. ـ القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٣م. ـ ٢٧٤ ص. ـ (سلسلة: كتاب الهلال: ٥١٥).

١٢٥ . المسيري، عبدالوهَّاب. الصهيونية وتأثيرها في علاقة بين الإسلام بالغرب.ـ أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٣م. ـ ٣٦ ص. ـ (سلسلة محاضرات الإمارات؛ ٦٥).

١٢٦ . المسيري، عبدالوهَّاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ـ ٢ مج. ـ ط ٢. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م. ـ ١: ١٥٦ ـ ١٥٨.

١٢٧ . المسيري، عبدالوهَّاب. اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. ـ ٣٢٨ ص. ـ (مشروع مكتبة الأسرة).

١٢٨ . مصطفى، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط. ـ ٢ ج. ـ إستانبول: دار الدعوة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١٠٧٦ ص.

١٢٩ . معدِّي، الحسيني الحسيني. حروب الغرب المقدَّسة على الإسلام: وثائق المؤامرة والإدانة. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م. ـ ٢٦٤ ص.

١٣٠ . المعقول، المصطفى. المؤامرة القرشية والإذن بالهجرة. ـ الإرشاد (المغرب). ـ ع ١ (رمضان ١٤١٣هـ/ مارس ١٩٩٣م). ـ ص ٩٢ ـ ٩٦.

١٣١ . معلوف، أمين. الحروب الصليبية كما رآها العرب/ ترجمة عفيف دمشقية. ـ الجزائر: المؤسَّسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ٢٠٠١م. ـ ٣٥٢ ص.

١٣٢ . مورو، محمد. الشرق الأوسط الجديد: الشعوب في مواجهة أمريكا. ـ القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، ٢٠٠٥م. ـ ٢٢٣ ص.

١٣٣. موسوعة ويكبيديا الحرة على الشبكة العنكبوتية تحت المصطلح (Conspiracy Theories). (٢٠/ ٦/ ١٤٢٩هـ ـ ٢٥/ ٦/ ٢٠٠٨م).

١٣٤. الميلاد، زكي. الإسلام والتجديد: كيف يتجدَّد الفكر الإسلامي؟. ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٢٨٦ ص.

١٣٥. ناشر النعم، محمد أمين. من ينابيع التجديد في الفكر الإسلامي: رينيه غينيون، علي بيجوفيتش، محمود عكَّام. ـ حلب: فصِّلت للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٢٨٤ ص.

١٣٦. ناصف، عصام الدين حفني. محنة التوراة على أيدي اليهود. ـ القاهرة: رؤية، ٢٠٠٨م. ـ ص ٣٥ ـ ٥٣.

١٣٧. ابن نبي، مالك. شروط النهضة/ ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين. ـ ط ٤. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ١٧٦ ص.

١٣٨. النجَّار، زغلول. المؤامرة: وقفات مع التآمر الصهيوني والدولي على شعب فلسطين. ـ ط ٥. ـ القاهرة: شركة نهضة مصر، ٢٠٠٥م. ـ ٢٥٥ ص.

١٣٩. نعمة، ماجد، وآخرون، محررون. موسوعة السياسة. ـ ٧ مج. ـ بيروت: المؤسَّسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م. ـ ٦: ٣٧٢.

١٤٠. النقيد، محمد سيف حيدر. نظرية «نهاية التاريخ» وموقعها في إطار توجُّهات السياسة الأمريكية في ظلِّ النظام العالمي الجديد. ـ أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠٧م. ـ ١٩١ ص.

١٤١. النملة، علي بن إبراهيم. فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٣٢٤ ص.

١٤٢. النملة، علي بن إبراهيم. الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش. ـ ط ٢. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٩٠ ص.

١٤٣. هاليداي، فريد. مئة وهم حول الشرق الأوسط. ـ بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٦م. ـ ٢٨٦ ص.

١٤٤. هوفمان، مراد. الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود/ تعريب عادل المعلِّم ويس إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ـ ٢٧٦ ص.

١٤٥. وايز، ديفيد وتوماس روس. الحكومة الخفية/ ترجمة جورج عزيز. ـ القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م. ـ ٤٣٢ ص.

١٤٦. ويلسون، كولن. راسبوتين/ ترجمة خليل حنَّا تادرُس. ـ القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م. ـ ٢٤٠ ص.

١٤٧. عطية فتحي الويشي. الخُواف الإسلامي Islam Phobia بين الحقيقة والتضليل. ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٢٧٠ ص.

١٤٨. ويليامز، جيسيكا. خمسون حقيقة ينبغي أنْ تغيِّر العالم. ـ بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ـ ٣٤٢ ص.

149. conspiracy theories 9/11.. ـ في: موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

150. Begin, Jeremy (2007). Fighting for G.O.D. (Gold, Oil, and Drugs). Trine Day Press.

151. Chomsky, Noam. 9-11: Institutional Analysis vs. Conspiracy Theory. (http:/blog/zmag.org/node/2779) .

152. Fokoyama, Francis. America at the Crossroad: Democracy, Power, and the Neocoservative Legacy.- New York: Yalw University Press, 2006.- 240 p.

153. Fuller, Graham. WORLD WITHOUT ISLAM. FOREIGN POLICY. (Jan-Feb 2008). 60 p.

154. Gehrke-White, Donna. The Faces behind the Veil.- New York: Random House, 2007.- 299 p.

155. Griffin, David Ray (2007). Debunking 9/11 Debunking: An Answer to Popular Mechanics and Other Defenders of the Official Conspiracy Theory.. Olive Branch Press.

156. Hollander, Paul. Understanding Anti-Americanism: Its Origins and Impact at Home and Abroad.- Chicago: Ivan R. Dee, 2004.- 372 p.

157. Huntington, Samuel P.. Who Are We?.- London: Free Press, 2004.- 428 p.

158. Lewis, Bernard. What went wrong?.- London: Phoenix, 2002. - 200 p.

159. Lewis, Bernard. T he Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror.- London: Phoenix, 2004.- 157 p.

160. Little, Douglas. American Orientalism: The United States and the Middle East since 1945. – 3rd ed.- Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 208.- 441 p.

161. Mamet. David. The Wicked Son: Anti-Semitism. Self-Hatred. and the Jews.- :Schocken. 2006.- 208 p.

162. Martin. Hans - Peter Et Harold Schumann. Le piege mondialisation. L'agression contre la democratie et la prosperite. Traduit de l'Allemand par Olivier Mannoni. Actes\Sud. Paris 1997

163. Popper. Karl Raymond. The Open Society and its Enemies.- 2 vols.- Princeton: Princeton University Press. 1945.

***

❖ الملحق :

نماذج من مناقشة الماسونية

في المراجع العربية

لا يكاد يرد حديث عن المؤامرة في الفكر العربي أو الفكر الغربي المنصف المعني بالمنطقة العربية والإسلامية إلا ويأتي الحديث عن الماسونية بتفريعاتها وأثرها وتأثيرها في المؤامرة. وهذه نماذج منتقاة من الكُتب عن الماسونية في الفكر العربي:(*)

١. الآباء المرسلون اليسوعيون. شيعة المسونيين. ـ بيروت: مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، ١٨٨٥م. ـ ١٢٢ ص.

٢. إبراهيم، زكي. صوت الماسونية، أو التقويم الماسوني العام لمحفل منف. ـ ج ١. ـ القاهرة: مطبعة عطايا، ١٩٢٨م. ـ

٣. أبو حبيب، محمد بن ناصر. أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين. ـ الرياض: دار الحبيب، ض١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. ـ ٤٨ ص.

(*) سبق نشر هذا الملحق في الطبعة الأولى من كتاب المؤلف: **الفكر بين العلم والسلطة** (العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). وجرى هنا تحديث القائمة وإعادة صياغتها. كما استفادت هذه القائمة كثيرًا من المراجع التي أثبتها الباحث في الماسونية حسين عمر حمادة في نهاية كتبه ومن قاعد البيانات الوراقية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. واقتصرت على نماذج من الكتب المباشرة، وتفاديًا للإطالة لم ترصد المقالات والتقارير والمواقع الإلكترونية.

٤.أبو راشد، حنًّا. دائرة المعارف الماسونية المصوَّرة. ـ ٢ مج. ـ بيروت: مكتبة الفكر العربي، ١٩٦١م.ـ١٠٥٨ ص.

٥.أبو راشد، حنًّا. دائرة المعارف الماسونية المصوَّرة: صفحات جديدة في تاريخ الإنسانية.ـ ٢ مج.ـ بيروت: دار المكشوف، ١٩٦١م.ـ ٦٢٦ ص.

٦.أبو صادق. الماسونية بلا قناع.ـ[جبيل؟]: دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٥م. ـ ٢٦٤ ص.

٧.أبو نعوم، جان. الماسونية دين فينيقي. ـ بيروت: دار المتنبي، ١٩٦٥م. ـ ٢٨٨ ص.

٨. الأبياري، فتحي. القهيلا وأسرار المنظمات الصهيونية. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م. ـ ٧٨ ص.

٩.آتلخان، جواد رفعت، الجنرال. أسرار الماسونية/ ترجمه عن التركية وعلَّق عليه: نور الدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي. ـ (كركوك: د. ن.، ١٣٧٦هـ). ـ ٦٣ ص.

١٠. آتلخان، جواد رفعت، الجنرال. أسرار الماسونية/ ترجمه عن التركية وعلَّق عليه: نورالدين رضا الواعظ وسليمان محمد أمين القابلي.ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٩٥ ص.

١١. أمين، محمد فهيم. الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٩م. ـ ١٦٠ ص.

١٢. أميني، محمد صفوت السقَّا وسعدي أوجيب. الماسونية. ـ مكَّة المكرَّمة:

رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ـ ٢٤٨ ص.

١٣. البخدادي، توما. قراءة جديدة في الماسونية وشهود يهوه. ـ [طرابلس (لبنان)]: مكتبة السائح، ٢٠٠١م. ـ ٢٣٣ ص.

١٤. البدري، محمد إبراهيم. بين البهائية والماسونية نسب. ـ القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ١٤٢ ص.

١٥. برات، أندريه. المنظمة الماسونية والحق الإنساني/ ترجمة جورجيت الحداد. ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٨م. ـ ١٤١ ص.

١٦. البرغوثي، جبارة. أتباع الشيطان: الأسطورة ـ الديانات ـ الماسونية ـ المسيانية. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار كنعان، ٢٠٠٥م. ـ ١٣٠ ص.

١٧. البستاني، سيف الدين. أوقفوا هذا السرطان: حقيقة الماسونية وأهدافها. ـ دمشق: دار النهضة العربية، ١٩٥٩م.

١٨. بلاتوف، أوليغ. الماسونية العالمية: المؤامرة على الاتّحاد السوفييتي/ ترجمة يوسف سليمان ونجم عبد الحسن. ـ دمشق: دار الطليعة الجديدة، ١٩٩٧م. ـ ٦١ ص.

١٩. بيجون، أ. ف. الماسونية: التاريخ والمعاصرة/ ترجمة عطا الله الرمحين. ـ دمشق: دار الينابيع، ١٩٩١م.

٢٠. بيجون، أ. ف. الماسونية: التاريخ والمعاصرة. ـ دمشق: دار الوسيم، ١٩٩٢م.

٢١. بيومي، زكريا سليمان. قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين: التحالُف

الصليبي الماسوني.ـ جدة: عالم المعرفة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.ـ ٣٢٢ ص.

٢٢. التائب، محمود علي. الجمعية اليهودية السرِّية في مختلف عصورها.ـ بنغازي: دار اقرأ، ١٩٩٠م.ـ ٢٣٢ ص.

٢٣. تزو، كاسيلا. قانون محفل سورية الخصوصي.ـ دمشق: ؟؟، ١٨٨١م.

٢٤. التل، عبدالله. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية.ـ ط ٣.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.ـ ٤٤٩ ص.

٢٥. الجحني، علي فايز. الماسونية: غزو ومخاطر.ـ ط ٢.ـ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.ـ ١٠٧ ص.

٢٦. الجزائري، سعيد. الماسونية وحاضرها لغاية عام ٢٠٠٠.ـ بيروت: دار الجيل، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.ـ ٣٦٦ ص.

٢٧. الجزائري، سعيد. الماسونية: مالها وما عليها، ماضيها وحاضرها، وثائق ومعلومات تنشر لأول مرة.ـ دمشق: مؤسسة النوري، ١٩٨٦م/ ١٤٠٧هـ.ـ ٣٦٦ ص.

٢٨. جمعية الإصلاح الاجتماعي. حقيقة نوادي الروتاري.ـ ط ٢.ـ الكويت: الجمعية، ١٩٧٠م.ـ ٤٠ ص.

٢٩. جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي. حقيقة نوادي الروتاري: علاقة نوادي الروتاري بالمحافل الماسونية والمنظمات والمخطَّطات الصهيونية في العالم.ـ ط ٢.ـ الإمارات العربية المتَّحدة: الجمعية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.ـ ٤٠ ص.

٣٠. الحاج، إليا. الخلاصة الماسونية.ـ د. م.: مطبعة الترقي، د. ت.ـ ٣٤ ص.

٣١. الحاج، يوسف. هيكل سليمان: الوطن القومي لليهود.ـ بيروت: مطبعة صادر، ١٩٣٤م.ـ ٢٤٠ ص.

٣٢. الحاج، يوسف. هيكل سليمان: الوطن القومي لليهود.ـ ط ٢.ـ بيروت: دار مختارات، ١٩٩٨م.ـ ٢٤٠ ص.

٣٣. الحايك، أليكسي ميشال. جامعة القوانين الماسونية.ـ ٤ ج.ـ بيروت: الشرق الأكبر الوطني اللبناني، ١٩٩١م.ـ ٨٩٢ ص.

٣٤. الحجار، نجم سليمان. الماسونية والصهيونية ودورهما في انهيار الاتّحاد السوفييتي.ـ بيروت: دار علاء الدين، ٢٠٠٧م.ـ ٢١١ ص.

٣٥. حارب، سعيد عبدالله. أضواء على حركة الماسونية.ـ دبي: مكتبة الأمة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.ـ ١١٤ ص.

٣٦. حسن، جعفر هادي. الدونمة بين اليهودية والإسلام.ـ ط ٣.ـ لندن: دار الورَّاق، ٢٠٠٨م.ـ ١٩١ ص.

٣٧. حسونة، خليل إبراهيم. الماسونية قديمًا وحديثًا: دراسة في الحركة التنظيمية لليهودية وجمعياتها منذ هدم الهيكل المزعوم وحتى الآن.ـ طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٤م.ـ ٤٤٦ ص.

٣٨. حسونة، خليل إبراهيم. الماسونية قديمًا وحديثًا: دراسة في الحركة التنظيمية لليهودية وجمعياتها منذ هدم الهيكل المزعوم وحتى الآن.ـ طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ١٩٩٤م.ـ ٤٤٦ ص.

٣٩. حسونة، خليل إبراهيم. الماسونية. ـ القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ١٩٩٨م.

٤٠. الحصين، أحمد بن عبدالعزيز. الماسونية: ذلك المحفل الشيطاني الخفي. ـ الطائف: مكتبة الطرفين، د. ت. ـ ٩٣ ص.

٤١. الحلبوني، عمر. الماسونية: الأخطبوط المجهول. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٢٥٥ ص.

٤٢. حَّماد، جمعة. الماسونية أداة خطرة لتهويد العالم. ـ ط ٢. ـ الكويت: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٢٦ ص.

٤٣. حمادة، حسين عمر. الأدبيات الماسونية وصلتها بالعقائد اليهودية الصهيونية وخططها لتقويض المجتمعات الإسلامية والمسيحية. ـ دمشق: دار الوثائق، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٦٢٤ ص. (وفي نهاية الكتاب قائمة بالمراجع تفيد لمزيد من التوسُّع).

٤٤. حمادة، حسين عمر. الروتاري والروتاريون وحتمية انهيار الحركات السرية الهدَّامة. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٢م. ـ ٣٢٠ ص.

٤٥. حمادة، حسين عمر. شهادات ماسونية. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ـ ١٧٥ ص.

٤٦. حمادة، حسين عمر. شهادات ماسونية. ـ ط ٢. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ١٨٤ ص.

٤٧. حمادة، حسين عمر. شهادات ماسونية. ـ ط ٣. ـ دمشق: دار الوثائق،

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ١٢٧ ص.

٤٨. حمادة، حسين عمر. الماسونية والماسونيون في الوطن العربي. ـ دمشق: دار الوثائق، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. ـ ٣٢٠ ص. (في نهاية الكتاب ثبت بالمراجع، يعين على المزيد مما كُتب عن الماسونية).

٤٩. الخوري، عبدالحليم إلياس. الماسونية ذلك المجهول. ـ بيروت: دار العلم للجميع، ١٩٥٤م. ـ ١١٢ ص.

٥٠. الخوري، عوض. تبديد الظلام أو أصل الماسونية. ـ بيروت: مطبعة الاجتهاد، ١٩٢٩م.

٥١. الخوري، عوض. تبديد الظلام أو أصل الماسونية. ـ د. م.: المؤلف، ٢٠٠٢م. ـ ٢٤٠ ص.

٥٢. دارول، أركون. تاريخ الجماعات السرية/ ترجمة عبدالهادي عبدالرحمن. ـ بيروت: تانيت، ١٩٩٣م.

٥٣. الدوسري، عبدالرحمن. اليهودية والماسونية/ قدَّم له مصطفى بن العدوي وأبو مصعب رياض بن عبدالله الحقيل. ـ الخبر: دار السنَّة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ١٨٤ ص.

٥٤. دياب، محمد أحمد. المخطَّطات الماسونية العالمية. ـ القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ١١١ ص.

٥٥. الرحيلي، حمود بن أحمد. الماسونية وموقف الإسلام منها. ـ الرياض: دار العاصمة، ١٤١٥هـ. ـ ١٨٢ ص.

٥٦. راغب، إدريس. رسوم الدرجة الثانية الرمزية للمحافل الوطنية المصرية. ـ [القاهرة]: د. ن.، ١٩٢٧م. ـ ١١٨ ص.

٥٧. رضا، خيري. شذرة عن تاريخ الماسونية منذ أقدم عصورها إلى اليوم. ـ دمشق: مطبعة الترقي، ١٩٢٨م.

٥٨. رفعت الشأن، جواد. أسرار الماسونية/ ترجمة نور الدين رضا الواعظ. ـ القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٧٥م. ـ ٦٣ ص.

٥٩. الزعبي، محمد علي. الماسونية في العراء. ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م. ـ ٢١٥ ص.

٦٠. الزعبي، محمد علي. الماسونية في العراء. ـ ط ٥. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ـ ٢٣٥ ص.

٦١. الزعبي، محمد علي. الماسونية منشئة مُلْك إسرائيل. ـ بيروت: المكتبة الثقافية، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م). ـ ١٢٧ ص.

٦٢. الزهراني، جمعان بن عايض. الماسونية والمرأة. ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٥هـ. ـ ١٧٣ ص.

٦٣. زيدان، جرجي. تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم. ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢م. ـ ١٨٤ ص.

٦٤. زيدان، جرجي. تاريخ الماسونية العام. ـ القاهرة: مطبعة المحروسة، ١٨٨٩م.

٦٥. زيدان، جرجي. تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم. ـ بيروت:

دار الجيل، ٢٠٠٥م. ـ ١٨٤ ص.

٦٦. الزيدي، عبدالجبَّار. الماسونية تحت الأضواء. ـ ط ٣. ـ بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩١م. ـ ٥٢ ص.

٦٧. الزيدي، عبدالجبَّار. الماسونية تحت الأضواء. ـ بيروت: مؤسسة الريان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ٥٢ ص.

٦٨. السامرائي، نعمان عبدالرزَّاق. الماسونية واليهودية والتوراة. ـ ط ٢. ـ دمشق: دار الحكمة، ٢٠٠١م. ـ ١٦٦ ص.

٦٩. السحمراني، أسعد. الماسونية: نشأتها وأهدافها. ـ بيروت: دار النفائس، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. ـ ١٤٤ ص.

٧٠. سركيس، ميشيل. دليل عظماء الرجال ونبذة في تاريخ الماسونية ونشأتها وأركانها والإنسانية وأنصارها. ـ القاهرة؟: د. ن.، د. ـ ١٠٢ ص.

٧١. سعد، راجي. البابوية والماسونية. ـ بيروت دار كنعان، ١٩٩١م. ـ ٦٤ ص.

٧٢. سليمان، عمر محمد بكر. إطلالة على الماسونية ونشاطات محافلها في مصر أواخر القرن التاسع عشر. ـ القاهرة: ؟، د. ت.

٧٣. سمك، عبدالله علي. حقيقة الماسونية العالمية. ـ القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٨٨م. ـ ٢٧٢ ص.

٧٤. سمك، عبدالله علي. حقيقة الماسونية العالمية في ميزان الإسلام. ـ القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٨٨م. ـ ١٨٣ ص.

٧٥. سمك، عبدالله علي. الماسونية العالمية. ـ ٢ مج. ـ القاهرة: المؤسسة العربية

الحديثة، ١٩٩١م.

٧٦. سنقرط، داود عبدالعفو. القوى الخفية لليهودية العالمية الماسونية. ـ عمّان: دار الرقان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ـ ٢٠٦ ص.

٧٧. سويد، محمد علي. موسوعة ١٥٠٠ سؤال وجواب عن اليهود الماسونية الصهيونية.ـ بيروت: دار الحكايات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. ـ ٣٢٧ ص.

٧٨. الشاذلي، محمود ثابت. الماسونية: عقدة المولد وعار النهاية. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٤٧٤ ص.

٧٩. الشاذلي، محمود ثابت. الماسونية: عقدة المولد وعار النهاية. ـ ط ٢. ـ القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٤٩٦ ص.

٨٠. الشامي، رشاد عبدالله. الرموز الدينية في اليهودية.ـ القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٠م. ـ (سلسلة الدراسات الدينية؛ ١١).

٨١. شاهين، إسكندر. الماسونية: ديانة أم بدعة؟. ـ بيروت: دار بيسان، ١٩٩٩م. ـ ٣٠٣ ص.

٨٢. الشثري، محمد بن ناصر. أثر القوة الخفية الماسونية على المسلمين. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ـ ٤٣ ص.

٨٣. شلبي، أحمد. اليهود في الظلام: دراسة عن الوسائل والمؤسسات التي ابتكرها اليهود.ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. ـ ١٠٦ ص.

٨٤. شلش، علي. اليهود والماسون في مصر. ـ القاهرة: الزهراء للإعلام

العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م. ـ ٣٣٩ ص.

٨٥. شلش، علي. الماسونية في مصر. ـ القاهرة: الزهراء للإعلام، ١٩٨٦م.

٨٦. شلش، علي. الماسونية في مصر. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ١٩٩٣م. ـ ١٦٠ ص.

٨٧. شيخو، لويس. السُّر المصون في شيعة الفرمسون. ـ ط ٣. ـ بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩١٠ ـ ١٩١١م.(*)

٨٨. شيخو، لويس. السُّر المصون في شيعة الفرمسون. ـ ط ٣. ـ بيروت: دار الرائد اللبناني، ١٩٩٩م. ـ ٣٠٠ ص.

٨٩. صالح، سعد الدين السيِّد. الماسونية في أثوابها المعاصرة: البهائية، الروتاري، الليونز. ـ القاهرة: دار الصفاء، ١٩٩٠م. ـ ١١١ ص.

٩٠. صالح، سعد الدين سيِّد. الماسونية في أثوابها المعاصرة: البهائية، الروتاري، الليونز. ـ جدَّة: مكتبة الصحابة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. ـ ١٢٦ ص.

٩١. صفوة، نجدة فتحي. الماسونية في الوطن العربي. ـ لندن: مركز الدراسات العربية، ١٩٨٠م. ـ (سلسلة أوراق عربية؛ ٤).

٩٢. الصقري، سعود بن علي. الماسونية في الميزان. ـ (الرياض): المؤلف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. ـ ١٠٤ ص.

٩٣. طحَّان، محمد جمال. الخديعة الكبرى: هل اليهود حقًّا شعب الله المختار.

(*) لبطرس ماليه كتاب: كشف السر المكنون عن شيعة الفرامسون، وذكره عمر رضا كحَّالة نقلاً عن لويس شيخوا في المخطوطات العربية.

ـ دمشق: الأوائل، ٢٠٠٣م. ـ ٢٤٠ ص.

٩٤. طعيمة، صابر. الماسونية ذلك العالم المجهول: دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية. ـ ط ٦. ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م. ـ ٤٤٨ ص.

٩٥. طعيمة، صابر. الماسونية ذلك العالم المجهول: دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية. ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٩٩م. ـ ٢٧٥ ص.

٩٦. طعيمه، صابر عبد الرحمن. الماسونية والصهيونية والشيوعية. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.

٩٧. طنطاوي، حمدي. روتاري والصهيونية: لمحات من تاريخ الماسونية العربية. ـ القاهرة: بيت الحكمة، ١٩٩٤م.

٩٨. عامر، محمود علي. تاريخ الماسونية ويهود الدونمة: دراسة وثائقية في الأصول والأهداف. ـ دمشق: دار الصفدي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ١٨٨ ص.

٩٩. عبدالحميد، هشام كمال. عصر المسيح الدجال، الحقائق والوثائق، تفاصيل الخطة الماسونية، الهرم الذهبي والألفية الثالثة حورس ٦٦٦. ـ القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٠م. ـ ١٤٤ ص.

١٠٠. عبدالحكيم، منصور. أقدم تنظيم سِّري في العالم: النشأة ـ الأهداف ـ الطقوس. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م. ـ ٢٣١ ص.

١٠١. عبدالحكيم، منصور. حكومة الدجَّال: الماسونية الخفية. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٥٤٣ ص.

١٠٢. عبدالحكيم، منصور. مؤامرات وحروب غيَّرت العالم صنعتها

الماسونية للسيطرة على العالم. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٨م. ـ ٣٦٧ ص. ـ (سلسلة حكومة العالم الخفية؛ ٦).

١٠٣. عبدالحكيم، منصور. من يحكم العالم سـرًّا؟ أصابع خفية تقود العالم. ـ دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م. ـ ٢٠١ ص.

١٠٤. عبدالرحيم، أحمد. حركات هدَّامة. ـ دمشق: المنارة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ـ ٢٥٦ ص.

١٠٥. عبدالعزيز، زينب. لعبة الفن الحديث بين الصهيونية ـ الماسونية ـ وأمريكا. ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٢٦٦ ص.

١٠٦. عبدالله، أبو إسلام أحمد. حقيقة الروتاري في مصر. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٧م. ـ ٦٤ ص.

١٠٧. عبدالله، أبو إسلام أحمد. شرخ في جدار الروتاري. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٨م. ـ ١٣٦ ص.

١٠٨. عبدالله، أبو إسلام أحمد. شرخ في جدار الروتاري. ـ ط ٢. ـ القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م. ـ ١٣٥ ص.

١٠٩. عبدالله، أبو إسلام أحمد. الروتاري في قفص الاتهام. ـ ط ٣. ـ القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٧م. ـ ٣٠٤ ص.

١١٠. عبدالله، أبو إسلام أحمد. الماسونية سرطان الأمم. ـ مكَّة المكرَّمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. ـ ١٤٥ ص.

١١١. عبدالله، أبو إسلام أحمد. الماسونية في المنطقة ٢٤٥.ـ ط ٢.ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨م.ـ ٣١٤ ص.

١١٢. عبدالله، أبو إسلام أحمد. الماسونية في المنطقة ٢٤٥.ـ ط ٣.ـ القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.ـ ٢٠٣ ص.

١١٣. عبدالله، أبو إسلام أحمد. المثلث ٣٥٢: أسرار وخفايا أندية «ليونز» الماسونية في مصر.ـ القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).ـ ٢٠٥ + ص.

١١٤. العدوي، إبراهيم أحمد. حركات التسلُّل ضدَّ الأمَّة العربية.ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م.

١١٥. عطار، أحمد عبدالغفور، الماسونية.ـ بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١١٦. العمري، موفق. الماسونية والبهائية.ـ بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٦م.ـ

١١٧. عنان، محمد عبدالله. تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدَّامة في المشرق.ـ القاهرة: دار أم البنين، د. ت.

١١٨. عنان، محمد عبدالله. تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدَّامة.ـ ط ٢.ـ القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.ـ ٢٣٠ ص.

١١٩. عوف، أحمد محمد. المؤامرات الخفية ضدَّ الإسلام والمسيحية.ـ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.ـ ٢٠١ ص.

١٢٠. غلوش، أحمد. الجمعية الماسونية: حقائقها وخفاياها. ـ القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٦م.

١٢١. الفاخوري، شكري، مترجم. رسوم البناية الحرَّة: الدرجة الأولى للطريقة الأسكوتلاندية. ـ طرابلس: مطبعة البلاغة، ١٩٢٣م. ـ ٤٥ ص.

١٢٢. فان هيلسينغ، يان. الجمعيات السرية: حكومة العالم الخفية/ ترجمة غازي برُّو. ـ بيروت: دار الخيال، ٢٠٠٥م. ـ ٣٩٩ ص.

١٢٣. فراي، أ. ل. القوى الخفية في السياسة الدولية: من يحكم العالم؟/ ترجمة جهاد قدري قلعجي. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.

١٢٤. فضول، فؤاد. الماسونية خلاصة الحضارة الكنعانية. ـ بيروت: دار كنعان، ١٩٧٢م. ـ ١٩٢ ص.

١٢٥. فودة، يسري. الماسونية: المؤامرات الخفية للماسونية. ـ بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ٢٠٠٣م. ـ ١٤٤ ص.

١٢٦. قاسم، محمد زكي الدين محمد. الإسلام والمؤامرات اليهودية. ـ القاهرة: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ـ ٢٣٨ ص.

١٢٧. قاسم، محمد زكي الدين محمد. الماسونية بين الحقيقة والشعارات. ـ جدَّة: الدار السعودية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. ـ ١١٠ ص.

١٢٨. قطب، محمد علي. يهود الدونمة في تركيا. ـ القاهرة: الدار الثقافية،

٢٠٠٢م.

١٢٩. قطيني، حنين. البناية الحرَّة.ـ بيروت: د. ن.، ١٩٥٥م.

١٣٠. كوستون، هنري. الماسونية: دولة في الدولة، جمهورية الشرق الأعظم/ ترجمة نظير الجاهل.ـ ط ٥.ـ بيروت: شركة المطبوعات، ١٩٩٩م.ـ ٣٤٨ ص.

١٣١. كوستون، هنري. الماسونية: دولة في الدولة، جمهورية الشرق الأعظم/ ترجمة نظير الجاهل.ـ ط ٥.ـ بيروت: شركة المطبوعات، ٢٠٠٥م.ـ ٣٤٨ ص.

١٣٢. كريم، مسعود وخليل إبراهيم حسُّونة. الحركات الهدَّامة.ـ طرابلس: دار المدينة، ١٩٩٦م.ـ ٣٨٥ ص.

١٣٣. الكفري، محمود عبدالحميد. العلاقات السرية بين اليهودية وبين الماسونية والصهيونية. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ٢٣٩ ص.

١٣٤. كلشي، حسن. الوجه الآخر للاتحاد والترقِّي/ ترجمة محمد الأرناؤوط. ـ إربد: دار قدسية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٣٥. مارس، جيم. الحكم بالسِّر: التاريخ السِّري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى، من يحكم أمريكا والعالم سرًّا؟.ـ ط ٣/ ترجمة: محمد منير إدلبي.ـ دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤م.ـ ٦٠٠ ص.

١٣٦. مالك، حنًّا. بيان المحفل الأكبر الإقليمي السوري: الطريقة الإيكوسية

القديمة المقبولة. ـ دمشق: ؟؟، ١٩٣٧م.

١٣٧. مبارك، جاك، مترجم. دستور أندرسون: المرجع الماسوني الأقدم في أنظمة وتراث أخوية البنّائين. ـ بيروت: مكتبة الربيع، ١٩٨٨م. ـ ٢٦٨ ص. ـ (أُنتج باهتمام محفل صور رقم «١»، ١٩٨٨).

١٣٨. مجموعة من المترجمين. الحقائق السرية عن الجمعية الماسونية.ـ بيروت: بيسان، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ. ـ ٢٧٩ ص.

١٣٩. المرّ، حكمت. أسرار الماسونية.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م. ـ ١٣٦ ص.

١٤٠. المرسلون اليسوعيون. كشف السرّ المكنون في شيعة الفرامسون أو ماهية الفراماسونية. ـ بيروت: مطبعة المرسلين اليسوعيين، د. ت.

١٤١. مركز الدراسات لدار الكتاب العربي. أشهر الجمعيات السرية في التاريخ.ـ الرياض: دار الشواف، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.ـ ١١٧ ص.

١٤٢. المسيري، عبدالوهّاب. الجمعيات السريّة: البروتوكولات، الماسونية، البهائية.ـ القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٣م. ـ ٢٧٤ ص. ـ (سلسلة: كتاب الهلال: ٥١٥).

١٤٣. المسيري، عبدالوهّاب محمد. موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية. ـ القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥م.

١٤٤. المسيري، عبدالوهّاب. اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية

الهدَّامة والسريَّة. ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م. ـ ٣٢٦ ص.

١٤٥. المسيري، عبدالوهَّاب. اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدَّامة والسريَّة. ـ القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠م. ـ ٣٢٨ ص. ـ (مشروع مكتبة الأسرة).

١٤٦. المعري، فهمي صدقي. مفكرة درجات الصليب الوردي للدرجة ١٨: الفارس الحكيم. ـ دمشق: لجنة التأليف والدعاية والنشر للمحفل الأكبر السوري العربي، ١٩٣٩م.

١٤٧. مكاريوس، شاهين. الآداب الماسونية. ـ بيروت: دار مارون عبُّود، ١٩٨٣م. ـ ١٧٦ ص.

١٤٨. مكاريوس، شاهين. الآداب الماسونية. ـ بيروت: دار نظير عبُّود، ١٩٨٨م. ـ ١٦٠ ص.

١٤٩. مكاريوس، شاهين بك. أربعة كتب في الماسونية. ـ القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤م. ـ ٧٧٦ ص.

١٥٠. مكاريوس، شاهين. الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية. ـ ط ٢. ـ بيروت: دار مارون عبُّود، ١٩٨٣م. ـ ١٤٣ ص.

١٥١. مكاريوس، شاهين. تاريخ الماسونية العملية. ـ بيروت: دار مارون عبُّود، ١٩٨٤م. ـ ١٦٠ ص. ـ ٢٢٤ ص.

١٥٢. مكاريوس، شاهين. تاريخ الماسونية القديمة وآثارها. ـ بيروت: دار

مارون عبُّود، ١٩٨٥م. ـ

١٥٣. مكاريوس، شاهين. الدستور الماسوني العام للطريقة الأورشليمية. ـ بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠م. ـ ١١٢ ص.

١٥٤. مكاريوس، شاهين. الفضائل الماسونية. ـ بيروت: دار مارون عبُّود، د. ت. ـ

١٥٥. مكاريوس، شاهين. الكنز المصون في ثلاث درجات الماسون. ـ بيروت: دار مارون عبُّود، د. ت. ـ

١٥٦. مكاريوس، شاهين. الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية. ـ القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٨٩٧م.

١٥٧. مكاريوس، شاهين. الماسونية ديانة أم بدعة؟. ـ بيروت: بيسان، ١٩٩٩م. ـ ٣٠٤ ص.

١٥٨. منصور، أحمد. الماسونية: الذراع الضاربة للصهيونية. ـ [بيروت]: مؤسسة الريان، ١٩٩٨م. ـ ١٣٦ ص.

١٥٩. منصور، مالك. حقائق عن الماسونية. ـ بغداد: دار الثورة، ١٩٧٣م.

١٦٠. الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة. مكايد يهودية عبر التاريخ. ـ ط ٥. ـ دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ـ ٤٤٦ ص.

١٦١. مينو، جان. القوى الخفية التي تحكم العالم/ ترجمة محمد كامل حسن. ـ بيروت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. ـ ٥١٦ ص.

١٦٢. نايت، ستيفن. الأخوة: خفايا الحركة الماسونية/ ترجمة أحمد معمَّر. ـ

١٦٣. نجيم، رياض وليم. الماسونية بين الانحراف والأصولية: محفل يكشف أسرار الصراع بين الماسونية المزيَّفة والماسونية المتشدِّدة/ ترجمة يوسف ضوميط.ـ ط ٢. ـ بيروت: شركة الطبع والنشر اللبنانية، ١٩٨٦م. ـ ٢٠٠ ص.

١٦٤. النقيب، موفَّق محمد. منابع الإرهاب: الصهيونية ـ إسرائيل ـ الماسونية، ماذا عن أسفار القبائل العبرانية والإسرائيلية ويهود يهود والتلمود؟. ـ دمشق: دار الرائي، ٢٠٠٥م. ـ ٣٦٠ ص.

١٦٥. نودون، بول. الماسونية والبنّاؤون الأحرار/ ترجمة ناجي نعمان. ـ بيروت: المطبعة البولسية، ١٩٨٠م. ـ ١١٢ ص.

١٦٦. همو، عبدالمجيد. الماسونية والمنظَّمات السرِّية: ماذا فعلت؟ ومن خدمت؟/ مراجعة وتدقيق إسماعيل الكردي. ـ ط ٢. ـ دمشق: الأوائل، ٢٠٠٤م. ـ ٥٢٥ ص.

١٦٧. هنة، وولتون. فضح اللعبة الماسونية/ ترجمة حمدي الصاحب. ـ ط ٢. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. ـ ٣٠٤ ص.

١٦٨. يوسف، وائل إبراهيم الدسوقي. الماسونية في العالم العربي: المبادئ ـ الأصول ـ الأسرار. ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م. ـ ٢٥٤ ص. وللمؤلف رسالة ماجستير بعنوان: الماسونية في مصر. ـ القاهرة: كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م.

***

❖ المؤلف :

- علي بن إبراهيم الحمد النملة.
- مكان الميلاد: البكيرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
- تاريخ الميلاد: ١/ ٢/ ١٣٧٢هـ الموافق ١٩/ ١٠/ ١٩٥٢م.
- الدراسة الجامعية: الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية. ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. التخصُّص: اللغة العربية.
- الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. التخصُّص: المكتبات والمعلومات.
- الدكتوراه: جامعة كيس وسترن رزرف في الولايات المتَّحدة الأمريكية. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. التخصُّص: المعلومات والمكتبات.
- أستاذ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- باحث في معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بفرانكفورت بألمانيا ١٤٠٥ـ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥ـ ١٩٨٦م.
- مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واشنطن، بالولايات المتَّحدة الأمريكية ١٤٠٩ـ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- مدير عام الهيئة العامَّة لجمع التبُّرعات للمجاهدين الأفغان ١٤١٠ ـ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٠ـ ١٩٩٢م.
- عضو مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ ـ ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٤ـ ١٩٩٩م.

- وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ - ١٤٢٥هـ/ ١٩٩٩ - ٢٠٠٤م.
- وزير الشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية الحاسب الآلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ - .
- باحث في الشأن الاستشراقي والتنصيري والعلاقات الحضارية والثقافية والفكرية بين الشرق والغرب.

***

الأعمال العلمية

❖ أولاً: الكتب :

١. الاستشراق في الأدبيَّات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب.ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.ـ ٣٧٠ ص.

٢. الاستشراق والدراسات الإسلامية: مصادر المستشرقين ومصدريَّتهم. ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.ـ ٢٦٢ ص.ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٣).

٣. إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة.ـ الرياض: المؤلف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.ـ ١٩٨ ص.ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٤. المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر.ـ ط٢.ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ١٩١ ص.ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٢).

٥. الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصُّل من المصطلح.ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ١٨٢ص.ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٥).

٦. تأمُّلات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان والتحدِّيات.ـ

الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.ـ ٢٥٠ ص.

٧. التنصير في الأدبيَّات العربية.ـ الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.ـ ٢٧٢ ص.

• التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد وراقي للمطبوع.ـ ط ٢.ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ٤١٩ ص.

٨. التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.ـ القاهرة: دار الصحوة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.ـ ١٢٠ ص.

• التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.ـ ط ٢.ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.ـ ١٥٢ ص.

• التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.ـ ط ٣.ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ١٦٧ ص.

• التنصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته.ـ ط ٤.ـ الرياض: المؤلِّف: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.ـ ٢٤٨ ص.

٩. ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ٢٤٥ ص.

١٠. الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.ـ ١٢٥ ص.

١١. السعوديُّون: الثبات والنماء..ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/

١٩٩٥م.ـ ٣١٤ ص.

١٢. السعوديُّون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميُّز في زمن العولمة.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ٢٤٥ ص.

١٣. الشرق والغرب: محدِّدات العلاقات ومؤثِّراتها.ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.ـ ٢٤٨ ص.

• الشرق والغرب: منطلقات العلاقات ومحدِّداتها.ـ ط ٢.ـ بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.ـ ١٧٣ ص.

١٤. الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسْرا.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.ـ ١٥٢ ص.

١٥. صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها.ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.ـ ١٧٤ ص.

١٦. ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات.ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.ـ ٢١٠ ص.ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ١).

١٧. العمل الاجتماعي في منطقة الخليج العربية: التنظيم ـ التحدِّيات ـ المواجهة.ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.ـ ٢٥٠ ص.

١٨. الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.ـ ٢٧٧ ص.

• الفكر بين العلم والسلطة: من التصادُم إلى التعايُش.ـ ط ٢.ـ الرياض:

مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.ـ ٢٩٠ ص.

١٩. فكر الانتماء في زمن العولمة: وقفات مع المفهومات والتطبيقات.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.ـ ٣٢٤ ص.

٢٠. فكر التصدِّي للإرهاب: وقفات مع المفهوم والأسباب والأوزار. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١١٣ ص.

٢١. مجالات التأثُّر والتأثير بين الثقافات: المثاقفة بين شرق وغرب.ـ الرياض: المؤلِّف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٣٥ ص.

٢٢. مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين.ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.ـ ١٣٢ ص.

- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية.ـ ط ٢.ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.ـ ٢٠٠ ص.

- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ـ ط ٣. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. ـ ٢٠٤ ص.

- التجسير الحضاري بين الأمم في ضوء تناقُل العلوم والآداب والفنون. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١١١ ص.

٢٣. مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين: استقراء للمواقف. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.ـ ٥٦ ص.ـ (ضُمِّن في كتاب: الاستشراق والدراسات الإسلامية).

٢٤. مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد وراقي.ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.ـ ٢٦٠ ص. (بالاشتراك مع: أ. د. عفيف محمد عبدالرحمن).

٢٥. المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين، مع نماذج من المستشرقين المنصِّرين.ـ الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.ـ ١٧٨ ص.ـ (موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ ٤).

٢٦. المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.ـ ٢٨٤ ص.

٢٧. مواجهة الفقر: المشكلة وجوانب المعالجة.ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.ـ ٣٩ ص.ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٩٠). (بالاشتراك مع: أ. د. صالح بن محمَّد الصغيِّر).

٢٨. نقد الفكر الاستشراقي: الإسلام، القرآن الكريم، الرسالة. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ١٨٥ ص.

٢٩. هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل. ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ـ ٢٣٠ ص.

٣٠. وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا.ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.ـ ٢٤٠ ص.

- وبشِّر الصابرين: كلماتٌ في رجال تركوا أثرًا.ـ ط ٢ .ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.ـ ٢٩٨ ص.

٣١. الوراقة وأشهر أعلام الورَّاقين: دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات. ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.ـ ١٩٠ ص.

٣٢. وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية.ـ الرياض: المجلَّة العربية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.ـ ٦٦ ص.ـ (سلسلة كُتيِّب المجلَّة العربية؛ ٧٣).

• العولمة وتهيئة الموارد البشرية في منطقة الخليج العربية.ـ ط ٢.ـ الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.ـ ١٧٦ ص.

***

❖ ثانيًا : مقالات علمية :

١. مستقبل الكتاب المطبوع. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ٢ (١٠/ ١٤٠٢هـ ـ ٧/ ١٩٨٢م). ـ ص ١٦٢ ـ ١٧٠.

٢. العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة الكتاب. ـ عالم الكتب. ـ مج ٥ ع ٣ (١/ ١٤٠٥هـ ـ ١٠/ ١٩٨٤). ـ ص ٤٨٣ ـ ٤٩٢.

٣. الخدمات المكتبية للمعاقين في المناطق الصناعية. ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٦ ع ٢ (٨/ ١٤٠٦هـ ـ ٤/ ١٩٨٦م). ـ ص ٥٥ ـ ٦٤.

٤. مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية. ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية. ـ مج ٨ ع ٣ (١١/ ١٤٠٩هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م. ـ ص ٥ ـ ٢٨.

٥. خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية: عرض لما كُتب باللغة الإنجليزية. ـ حولية المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض). ـ ع ١ (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م). ـ ص ١٠٣ ـ ١٢٩.

٦. عوامل يلزم اعتبارها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية. ـ عالم الكتب. ـ مج ٣ ع ١ (٧/ ١٤٠٢هـ ـ ٤/ ١٩٨٢م). ـ ص ٦ ـ ١٠.

٧. كتاب الفوائد النفيسة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (٨١٩ ـ ٨٨٨؟) (تحقيق ونشر). ـ العصور. ـ مج ٣ ع ٢ (١١/ ١٤٠٨هـ ـ ٧/ ١٩٨٨م). ـ ص ٣١٣ ـ ٣٥٨.

٨. التجهيزات الأساسية للمعلومات. ـ مكتبة الإدارة. ـ مج ١٢، ع ٢ (جمادي الأولى ١٤٠٥هـ/ يناير ـ فبراير ١٩٨٥م). ـ ص ٢٣ ـ ٣٨.

٩. أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوِّقات الإفادة منها. ـ العقيق. ـ ع ٢٧ ـ ٢٨ (رمضان ـ ذو الحجَّة ١٤٢٠هـ / ديسمبر ١٩٩٩ ـ مارس ٢٠٠٠م). ـ ص ٢٥١ ـ ٢٧٢. ونشرت في: بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية المنعقدة في المدينة المنوَّرة في المدَّة من ٢٥ ـ ٢٧ محرَّم ١٤٢٠هـ. ـ الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ـ ص ٥٤٥ ـ ٥٧٠.

١٠. الثوابت والإستراتيجيات في الإعلام السعودي. ـ في: وزارة الإعلام. مسيرة الإعلام السعودي. ـ الرياض: الوزارة، ١٤١٩هـ (١٩٩٩م). ـ ص ١٠١ ـ ١١٧.

١١. الإعلام وآثاره الإيجابية والسلبية في حياة الأقليَّات المسلمة. ـ في: ملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: فقه الأقليَّات ٨ ـ ١٠/ ٤/ ١٤١٩هـ الموافق ٣١/ ٧ ـ ٢/ ٨/ ١٩٩٨م. ـ ١٨ ص.

١٢. الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراث. ـ في: دراسات إسلامية. ـ بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ـ ص: ٦٩ ـ ٩٩.

١٣. علي كراع النمل. ـ مجلَّة الحرس الوطني. ـ مج ؟؟ع ؟ (؟؟/ ؟؟/ ؟؟١٤هـ ـ ؟١٩٨م). ـ ص ؟؟؟ ـ ؟؟؟.

١٤. الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة. ـ

١٥. نظرة المستشرقين للملك عبدالعزيز وجهوده في توحيد المملكة العربية السعودية. ـ في: بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام ٧ ـ ١١/ ١٤١٩هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٨/ ١٩٩٩م. ـ الرياض: الأمانة العامَّة للمؤتمر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٤٦ ص.

١٦. الاستشراق والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين تؤثِّران على فكر الشباب تلقِّيًا وتفاعُلاً. ـ في: المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي. ـ عمَّان: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، . ـ ٢٦ ص.

١٧. كنه الاستشراق: مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف. ـ في: دراسات استشراقية وحضارية: كتاب دوري محكَّم، ع ١. ـ المدينة المنوَّرة: كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمَّد ابن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ـ ص ٢٢ ـ ٦٠.

١٨. الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي: قضايا المسلمين المعاصرة، الصحوة «الأصولية. ـ في: ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي. ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامَّة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ـ ٣٤ ص.

١٩. خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية السعودية. ـ في: حولية المكتبات والمعلومات. ـ الرياض: قسم المكتبات والمعلومات، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمَّد ابن سعود الإسلامية، ١٤٠٥/ ١٤٠٦هـ. ـ مج ١. ـ ص ١٠٣ ـ ١٢٩.

٢٠. رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن العرب

والمسلمين. ـ مجلَّة مكتبة الملك فهد الوطنية. ـ مج ١ ع ١ (محرَّم ـ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ يوليو ـ ديسمبر ١٩٩٥م). ـ ص ٣٩ ـ ٨١.

٢١. البنية الأساسية لنظامٍ وطنيٍّ للمعلومات. ـ مكتبة الإدارة. ـ مج ١٣ ع ١ (محرَّم ١٤٠٦هـ/ أكتوبر ١٩٨٥م). ـ ص ٢٦٣ ـ ٢٨١.

٢٢. دار الوراقة الخليجية. ـ عالم الكتب. ـ

٢٣. العولمة الفكرية. ـ دارين الثقافية. ـ ع ١١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ـ ص ١٦ ـ ٢٢.

٢٤. الموسوعة الفكرية عبدالوهَّاب المسيري. ـ (محاضرة). ـ النادي الأدبي بالرياض السبت ٢٠/ ٦/ ١٤٣٠هـ الموافق ١٣/ ٦/ ٢٠٠٩م.

٢٥. الإرهاب: المفهوم والهوية. ـ الكويت: وزارة التعليم العالي، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٦. تنمية العمل الخيري. ـ الدوحة: مؤسَّسة عيد بن محمد آل ثاني الخيرية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٧. تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين الواقع وتطلُّعات المستقبل. ـ لندن: مركز الإمارات للدراسات والإعلام، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ٤٣ ص.

٢٨. نقد الاستشراق: مقدِّمة لرصد وراقي «ببليوجرافي». ـ

٢٩. الاستشراق والإسلام: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ـ

٣٠. الاستشراق والقرآن الكريم: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة البحوث والدراسات القرآنية. ـ ع ٣ (١/ ١٤٢٨هـ/ ١ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٩٥ ـ ٢٢٩.

٣١. الاستشراق والرسول ﷺ: مقدِّمة لنقد وراقي «ببليوجرافي». ـ مجلة الجامعة الإسلامية. ـ مج (١/ ١٤٣٠هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٨م). ـ ص.

٣٢. الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والغرفة التجارية الصناعية بجدة. ـ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ ١٠ ص.

٣٣. العمل التطوعي. الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية. ـ ١/ ٢/ ١٤٣٠هـ ـ ٢٧/ ١/ ٢٠٠٩م. ـ (محاضرة).

٣٤. خواطر حول إدارة العمل العمل الاجتماعي. ـ الرياض: كلية اليمامة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م. ـ ١٤ ص.

٣٥. التجَّار والمسؤولية الاجتماعية. ـ القصيم. ـ ع ١١٤ (٣/ ١٤٢٨هـ ـ ٣/ ٢٠٠٧م). ـ ص ١٠ ـ ١١.

٣٦. الاتِّجار بالبشر: العلاج بالوقاية. ـ ورقة عمل مقدَّمة للحلقة العلمية حول مكافحة الاتِّجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرَّم ١٤٢٧هـ/ فبراير ٢٠٠٦م. ـ ١٧ ص.

٣٧. العمل الاجتماعي والتحدِّيات المعاصرة. ـ المدينة المنوَّرة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ـ (محاضرة).

٣٨. الاستثناء الثقافي في مواجهة الكونية: ثنائية الخصوصية والعولمة. ـ القاهرة:

مؤتمر اتّحاد المؤرّخين العرب، ٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ-٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.-٣٨ ص.

٣٩. منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح. - باريس: اليونسكو، ٥/ ١٢/ ١٤٢٩هـ-٣/ ١٢/ ٢٠٠٨م.-٢٧ ص.

٤٠. تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية (محاضرة).-الدمام: مجلس الحصيني، ١٠/ ٥/ ١٤٣٠هـ-٥/ ٥/ ٢٠٠٩م.-٢٤ ص.

٤١. إِشْكَالِيَّةُ الْمُصطلَحِ الْمَنقُولِ للعَرَبِيَّةِ: نَظرَةٌ عامَّةٌ وَنَماذِج. - (محاضرة) الدمام: منتدى الزامل، ٢٢/ ٥/ ١٤٣٠هـ-١٧/ ٥/ ٢٠٠٩م.

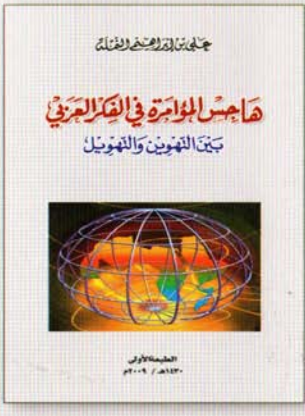
42. Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology. - Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia. 2009.- 20 p.

43. Index of Information Utilization Potential as an information measure. Arab Journal for Librarian & Information Science.- vol 7. no. 3 (7/1987).- p. 4- 14.

44. Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect on the Library and Information Profession.- International Library Review 14: 3 - 20 (1982).

45. Principles for Planning Library Education Programs in the Muslim World.- Presented in the First Conference of Muslim Librarians and Information Scientists. Sponsored by the Muslim Students' Association. West Lafayette, Indiana: Purdue University, 1982.

***



تأتي هذه الوقفات على هيئة مناقشات لطرفين متناقضين في موقفهما من مفهوم المؤامرة؛ أحدهما يثبتها إلى درجة التهويل من تأثيرها على الأمم، فهي عندهم حقيقة واقعة، والآخر ينفيها نفيًا مطلقًا ويسعى إلى تسويغ ما يظهر من أحداث تتناسب مع هذا المفهوم على أنَّه بفعل الناس أنفسهم ومن داخلهم، فهي عندهم وهمٌ مصطنع يوحي بحالة مَرَضية مزمنة تصل إلى الهوس. كما تسعى هذه الوقفات إلى البحث عن المنهج الوسط بين موقفين متطرِّفين، فيُثبت هذا المنهج وجود المفهوم، لكنه لا يرمي عليه كلَّ التدابير، ولا يغفل القدرات الذاتية في الإسهام في وجود المشكلات والإسهام كذلك في التغلُّب عليها بفطنة وكياسة وتثبُّت.

ردمك : ٣- ٩٢٣٤٩-٠٠-٦٠٣- ٩٧٨

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ـ ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض